ما بعد القمر

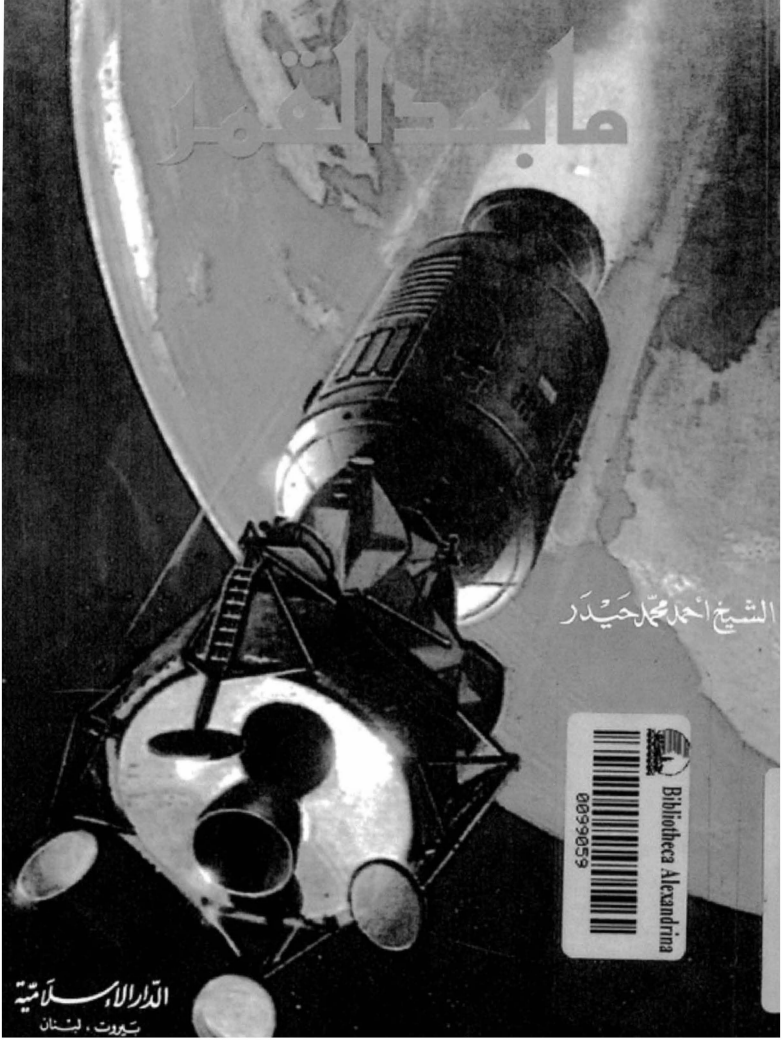

الشيخ أحمد محمد حيدر

Bibliotheca Alexandrina
0099859

الدار الإسلامية
بيروت ـ لبنان

الأعمال الكاملة

٢

ما بعد القمر

تأليف
العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

قام بكتابة المقدمة واستخراج شواهد الكتاب وتصميم الغلاف
لجنة إحياء تراث العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

الدار الإسلامية
بيروت ـ لبنان

المغفورُ له

العلّامة الشيخ أحمد محمد حيدر

هذه صورتي وما كنتُ أهوى ... بعد موتي هذا البقاءَ الفاني

يا جناحيَّ من ولًا وحنينٍ ... عجِّلا بي للعالَمِ الروحاني

تلك أمنيَّتي وما خدعةُ العا ... لَمِ إلَّا تعلّة الديدانِ

١٩٧١/١١/٤ م أحمد محمد حيدر

المقدمـــة

بقلم : عز الدين الخير

الحقيقة وحـدة . لاتتجزأ ولا تتناقض ، ولا تختلف وكـل مانراه في الكون من مظاهر وجوداته وقوانيـه تعبيرات متعددة عن الحقيقة الواحدة التي هي ظل الحقيقة المطلقة ــ الله ...

والدين والعلم جناحا هذه الحقيقة وطرفاها ، واقصد بالدين الدين الحقيقي لا ماأعتور الاديان من مذاهب واجتهادات وتفسيرات وتناقضات بما يظن أنه الدين وليس به ... واقصد بالعلم ، العلم الحقيقي ، الهادف الى الرواية الصادقة ، لا ماانحرف به بعض العلماء من استنتاجات واحكام وصيغ واقحـام للعلم في غير ميدانه بمـا يظن انه العلم وليس به ...

والفهم الذي قاد الى تخييل التناقض بين الدين والعلم هو النظر الى الوجود باعتباره حادثاً متجزئاً ، مما أعطى لأجزائه المختلفة حريـة التمايز والتناقض ، فبرزت اجزاء على حساب اخـرى ، وتعصب قوم لبعضها ولبعضها الآخر آخرون مما ادى الى فصل القضية الى قضايا والشيء الواحد الى أشياء وحتى أصبح ليس

بعيدا عن تصور كثير من المثقفين والعلمـاء مضافا اليهم الاغلبية العظمى من رجـال الدين ان ثمـة بينونة لاريب فيهـا بين العلم والـدين ...

الوجود لايفهم متجزئا ، انما هو حقيقة واحدة والعين التي تريد ان تحمل بين أهدافها الشمس هي العين التي تنظر الى العيا والكون كوحدة متكاملة تتعدد مظاهرها المختلفة لتأكيد الكينونة الواحدة ان الذي رأى وحدة الماء متمثلة في الغدير والنهر والبحر والسحابة شخص لن تمنعه الفروق الظاهرة عن ادراك الكل .

ينظر بعض الناس الى مآسي هذه الحياة ويتوجعون هذ الحروب التي تهز العالم ، الازمات ، الاقتصاد ، المجاعات ، الامراض الكوارث الطبيعية ، ويتساءلون بمرارة ؟ أهذا تدبير خالق حكيم ؛ ثم يسخرون من قول الديانين « ليس في الامكان أحسن مما كان » وشأنهم في ذلك شأن من يحكم على الشجرة مورقـة ام جرداء ، مثمرة ام جديبة ، من مجرد رؤية بذرتها العالم شجرة لـم تعط ثمرتها الناضجة بعد .

امـا الشمس المحرقـة ، أما التربـة الجافة ، أما الاعاصير والعواصف فلا بد منها لنمو هذه الشجرة وهذا مايجري بين الدين ورجاله من جهة وبين العلم من جهة اخرى ينظر رجل الدين في ايامنا ــ الا من رحم ربك ــ الى كشوفات العلم وانجازاته بعين الرهبة والخوف حينا ، وبعين الرفض والتكذيب احيانا ، وحجته في هذا وذاك ان هذا العالم غير مؤمن بالله فعلمه وأعماله رفد لهذا

الالحاد او ان هذا الامر لم يرد في كتب الاقدمين بحرفه فهو بدعة من بدع الشيطان .

ولو ان امر السلطة أو الحكم عاد اليهم ـ رجال الدين ـ كالسابق اذن لما ترددوا لحظة واحدة في جمع حزم الحطب لحرق كل من يجرؤ على ادخال أي ذكاء أو ثقافة او تنوير على العقل البشري .

ولقد راينا الاديان في مستهلها لاتختلف الا من حيث المظهر والشكل مع اعتبار الفارق الزمني التاريخي عن انجح الثورات في هذا العصر من حيث هي تبدل كامل في شكل الحكم والارادة والتنظيم الاقتصادي والعدالة الاجتماعية مسبقا ذلك كله ـ زيادة على الثورات الحديثة ـ التأكيد على وحدانية الله وقانونية الثواب والعقاب .

لقد نطق الانبياء صلوات الله عليهم بلسان الطبقات الكادحة وقربوا اليهم المعذبين في الارض .

وحاربوا طبقة المستغلين والمحتكرين استغلالا أدبيا أم ماديا .

وغيروا البنية المجتمعية ، وجعلوا الاولية في سلم المجتمع للعمل الصالح وحققوا انماطا من العدالة الاجتماعية الرائعة يحميها سلاحان سلاح الروع القانوني من جهة ، وسلاح الوازع الضميري من جهةثانية بعد انخلقوا ضميرا اجتماعيا عاما يؤمن بالحق والخير .

فلم تكن الاديان كما يريد بعض متهميها ان يصفوها مجرد حركات اصلاحية .

ما كانت ثورات . وثورات كاملة تبدو حتى اليوم ادق واعمق
[illegible] وفلسفه من اي ثورة حتى هذا العصر .

فما هذا الذي ؟ ماهو الشيء الذي دفع الدين ليكون
[illegible] في سبيل كل اصلاح وتقدم ؟ ماالذي اوقفه حائلا
[illegible] وبين محاولات العلم والمعرفه والدين داعية للعلم
والمعرفه ؟ ما الذي جعله يقف مع الانسان من احداث اي تغيير
في [illegible] وفلسفه ومعرفه والتعبير سنة الحياة والكون ؟
[illegible] ذلك واضح جلي .

[illegible] ثورة . ينطبق عليه مايتطبق على الثورات
[illegible] .

الثوره تتكرر مع الايام فوقا من صنوف الثوار بخونون طبقة
[illegible] .

هؤلاء الثوار الذين وصلوا بطريقة او بأخرى الى الوقوف
[illegible] الثوريه ومارسوا الاستفادة المباشرة من مزاياها
وخصائصها ومكاسبها ؛ فتحول هؤلاء مع الزمن . من انبياء للطبقة
[illegible] الى مستغلين .

ثم فتحت الدنيا ـ دنيا الملذات والفردية ـ ذراعيها امام من تتبع هؤلاء فجرفتهم الا القلة النادرة حتى اصبح معظم رجال الدين ـ اي دين ـ عالة عليه وذلك لوقوفهم في وجه ارادة التغيير .

فالتغيير لابد ان يحمل التطور والتطور لابد ان يقود الى الاصلاح والاصلاح لابد ان يجتث هؤلاء من الجذور .

رجال الدين اذن هم المسؤولون لا الدين والدين باعتباره ثورة كاملة نمتد عروقها في الاجيال الانسانية جيلا جيلا ليس ضدا لارادة التغيير بل داعيا لها ومبشرا بها .

هذا هو موضوع الكتاب . الذي اجد لنفسي اسما آيات الشرف والاعتزاز ان اتولى تقديمه للناس .

كتبه العلامة الشيخ احمد محمد حيدر عن الدين والعلم .

بين يـدي الكتاب

انه لمن الصعب علي ، بالغ الصعوبة ، ان اتعرض لنقد هذا المؤلف الجليل ، الذي هو في رأيي من خير ما انتجه عقل الانسان في هذا العصر .

وان احاول أن ادل القارىء على مزاياه وليس لمثلي نقد مثله، ولكن ان لم تكن كلمتي هذه يدا تعرضه فحسبها ان تكون اصبعا تشير اليه ، وكفى بذلك لي شرفا وفخرا .

تنبع قيمة هذا الكتاب من ناحيتين :

الاولى روعة ادائه وتعبيره بصدق وجلاء عن مشكلة العصر .

والثانيـة كون هذه المحاولـة صادرة عن احد رجال الدين تتعرض طبقتهم في الكتاب الى امس النقد واجراءه ...

ويكاد البحث في الكتاب ـ ايضا أن يأخذ اتجاهين متميزين :

الاول وهو الاهم بنظري وتفرد فيه المؤلف ، هو البرهنة على التقاء العلم بالدين في الكشف عن الحقيقة برهنة عقلية ملزمة ، بلا نصوص وذلك من خلال الرؤية الواضحة لوحدة الوجود الكاملة .

والثاني يشترك فيه المؤلف مع كتاب وعلماء معاصرين نشروا بحوثا وكتبا فيه ، وهو ايراد النصوص القرآنية التي تشير الى مزايا العلم وتبشر بالاكتشافات العلمية التي حـدثت والمعاصرة والمستقبلة مع اختلاف في المعالجة .

ومن هؤلاء مصطفى داوود ويوسف مروة وغيرهما وسنشير فيما يلي الى كل من هذين الاتجاهين حسب الطاقة .

القسم الاول ، العلم وتنافيه مع الدين

يقول المؤلف ان رجال الدين اجمعوا على تنافي العلم مع الدين وحجتهم في ذلك ولادة المسيح اذ ان العلم لايقر ولادة غير طبيعية بينما يؤكد الدين حدوث ذلك .

« **وهذه الحجة عليهم لالهم** » كما يقول المؤلف .

وخطأ هؤلاء هو قصور النظرة الى اكمال الفعل الالهي ، .. والاقتصار على جانب من الحقيقة دون بقية الجوانب ، هذا الخطأ اعمى ادراك هؤلاء ، عن الوصل بين المدرِك والمدرَك فحسبوا ان ولادة السيد المسيح هي النوع الشاذ الذي يعجز العلم عن وضع تفسير له منكرين لذلك المعاجز الالهية .

يقول المؤلف « **فلو نقلنا ولادة المسيح الجسمية المادية ، الى ولادة روحية معنوية اوجدنا ان كل نفس الهية (مريما) وكل عقل الهي ((عيسى)) وكل عيسى كلمة الهية نفخها الله من روحه في جيب مريم النفس فتولد عيسى ناطقا في مهده قائلا اني عبد الله**)) .

اذن فليس ثمة عيسى فرد مخلوق على هذه الكيفية فحسب بل ان ذلك كثير ومستمر استمرار المبدع الكامل ، والمبدع دائم ديمومة الخلق والتكوين والانشاء .

فكل ذات الهية ، لها عقلها ونفسها عيسى المبعوث من الله ومريم المتقبلة واو بطل ذلك لبطل التكوين بأسره .

وليس العلم والعلماء الا احدى الامثلة البارزة على هذا الامر ولا يمكن ان يناقض علم العلماء قانون وجودهم ذاته .

علم العلماء تمثيل صادق لابداع القدرة الالهية في المكونات او كما يقول المؤلف .

« العلم عبادة لاتجاريها عبادة ، وخير ما يعبده عابد او يعلمه عالم ، ان يهتدي المرء الى ان لله سرا في مكوناته ، وبهذا السر يعرف الحقائق الوجودية في نفسه وفيما حوله ومن هذا قوله ص «العلماء ورثة الانبياء » » .

العلم معناه نفوذ البصيرة الى أعماق الاشياء والعالم بهذا مخلوق على هيئة الله ومثاله « **وغاية الحكمة التشبه بالاله حسب الطاقة** » والذات الانسانية ، مملكة مترامية الاطراف مجهولة والانسان بهذا جامع المجموعات عاليها ودانيها يقول المؤلف « **الانسان مخلوق على مثال الصورة الجامعة للصور الكلية ، بل هو السر الذي كون الكون لاجله فهو الغاية وما سواه الوسيلة** » فان التناقض والقضاء في شقي المعرفة الانسانية العلم والدين مادام الانسان « **يرأي الجميع صورة مصغرةعن جميعالمكونات محسوسهاومعقولها كثيفها ولطيفها** » ثم ينتهي الامر الى التأكيد بيقين تام على ان « **الدين لايفهم فهما صحيحا الا بالعلم الصحيح فكلما ازداد العلم اتساعا ازداد الدين رسوخا في صدور أهله** » .

« من زعم ان العلم ينافي الدين فقد رضي من العلم مبلغالرغاع وحصة الاعمى من الشعاع » .

واصلا الى ذلك بأبدع حجة تخطر في ذهن ،... وعرضها في احلى صورة .

« ألا ترى أن كل كائن مهما بلغ به الجهل ، وتدنت به البساطة

يعظم العلم ورجاله ، .. واحسب ان هذا مفعول الفطرة الالهيـة التي فطر الناس عليها » .

وبيـان رائع يقطر سخرية والما ارجع هذا الجهل الفاضح الى اهله هؤلاء .

« المدلون باشكالهم ، المتبخترون بدماثتهم ، المعتزون بلينهم ، المتكبرون بخفوت منطقهم وطويل صلاتهم ولا بد انهم هم الـذين قسموا كل شريعة الى شرائع ، وكل مذهب الى مذاهب » .

الشمس والقمـــر

افرد المؤلف هنا بحثا كاملا عن امور فلكية يعرض فيه الـى مـااصاب الشعوب الشرقيـة عامة من حـيرة واضطراب بسبب الاكتشافات الاخـيرة لما تخيلـه اغبياء رجال الدين من استحالـة وصول الانسان الى الكواكب باعتبارها ايات من نور لايمس ، غافلين عن أن كل ماتراه عيونهم وتلمسه ايديهم ، بل كل ماتحسه حواسهم آيات مسخرات لله القادر ، هون مـن امرها على الجهلة سهولـة تناولهـا .

وأترك هذا البحث للقارىء ، كما اترك له ايضا ان ينحني مثلي بخشوع واكبار امام الجهد الذي بذله هذا الشيخ الجليل الـذي جاوز السبعين من عمره ، باتكبابه على مصطلحات العلم الحـديث والالمام بمنجزاتـه ومعاييره وتعابيره ورموزه من قوانين الـذرة

والمادة وسرعة النور والحركة وما الى ذلك من دساتير وارقام وايرادها ايراد المؤمن بها المتحمس لها .

واما الصبر الغريب الذي مارسه هذا الرجل الفاضل على تاليف كل ذلك في وحدة منسجمة وهو الذي لم يدخل في حياته مدرسة ولم يطلع على لغة غير لغته .

النور والمـــادة

بعد ان يحلل المؤلف في بحثه السابق من خلال مقدمات منطقية الى تخيل اكوان عدة محتمة الوجود وليست مستحيلة الاكتشاف اذ ان « **هذه الاكوان اللامتناهية الا بالنسبة الى اللانهاية هي ظل اللامتناهي لان الهوية الاولى فوق اللانهاية والهوية الثانية المبدعة غير متناهية** » يخلص الى بحث النور والمادة .

الكون بما فيه ليس الا نورا متكثفا ، فلو حللنا العناصر المادية الى اجزائها لاضمحلت تراكيبها وبقي النور وحده وهذه الحقيقة تقود الى ارساء وحدة الوجود على قرارة ثانية ، ...

فالتمايز بين الاشياء ، تمايز عرضي لااصل له في الحقيقة ، انما ينشأ عن اختلاف المؤهلات المتعددة ...

يقول المؤلف « **اذا اردنـا ان نتحقق ان المنظور يتحول لغير منظور ويصبح هو والفكر والروح في الخفاء سواسية فخذ جرما جامدا من الثلج وهو طبعا جسم متشيء، وعرضه الى حرارة طبيعية**

يعود الى اصله ماء واذا زادت الحرارة الى درجة الغليان يصبح هذا الماء بخارا فاذا اشتدت كثيرا يصبح غازا واذا مر بالماء تيار كهربائي ينحل الى عنصرين الاكسجين والهيدروجين ، وبهذا نكون قد وصلنا الى منطقة العناصر بعد ان تخطينا حدود المادة المتشيئة لا بل ربما كنا على وشك مجاوزة العلم المادي واذا جاوزنا عالم العناصر ولجنا مباشرة عالم الجوهر الفرد الذري ، وتكون المادة صارت كما معركا من الطاقة الذرية التي لاترى ولا تلمس » .

هذا المثال السهل الممتنع يعالج المؤلف اعوص المسائل العلمية ويعرضها بصورة واضحة مفهومة معجزة ، ثم يخلص الى الحقيقة التالية :

« ان هذه الاشياء المحسة وكيفياتها وصورها وغير ذلك كائنات امكانية وحوادث اعتبارية محضة تتراوح دائما بين التجرد والتشيئة متدرجة بين ذلك من السدم الى الاجرام الى الاجزاء الى الجزئيات الى الذريات ثم تعود مرة اخرى نورا او حركة او شكلا آخر من اشكال القوة والنور » .

هي الآن اذن في عالم واسع واسع لاحد لامتداد اشكاله وصوره، ولا حد ايضا لتمايزها واختلافها وهي مع ذلك وحدة واحدة والانسان في اكبر مزج من الكل وليس صحيحا ابدا مازعمه الفيلسوف الانكليزي الراحل « سبنسر » من انه حسب القانون الثاني من قوانين الدنيا مبكا الحرارية « سيأتي يوم يمحى فيه الانسان والكون

وجميع مايولد هذا الانسان وما صنع ستختفي اهواؤه وعواطفه وهواجسه ومواجده وقصوره ومعابده » .

فاستمرار الحياة وديمومتها ملازمان لاستمرار ديمومة المنبع الذي لا ينقطع ابداعه .

القسم الثاني من الكتاب

ولن اورد هنا الفروق التي المحت اليها سابقا بين نهج المؤلف ونهج الكتب الذين طرقوا هذا الموضوع . « موافقة النصوص القرآنية على بعض مكتشفات العلم »

انك تسمع من خلال كتابات اولئك — ولا استثني — انفصالا تاما عن الموضوع الذي يعالجون . او قل انهم يبحثون القضية من خارجها دون الولوج الى الداخل فكانهم يدافعون بذلك عن الكتاب الكريم حيث لاحاجة هناك للدفاع .

بينما نرى هنا اندماج المؤلف بالموضوع اندماجا يبدو معه العمل والهدف والطريقة شيئا واحدا هنا نلمس حرارة الفكرة ؛ اذ لادفاع مفتعل بل جلاء عن الحقيقة كامل .

فكل العلم وجميع ما في الكون من اشياء جاء صورة ملموسة عن الصورة المطلقة للاكوان اللائحة من خلال الكتاب الكريم .

مـــآخذ

قديما قالت العـرب « لاتعدم الحسناء ذاما » وهذا السفر

النفيس حقه من الناقد والقارىء معا كل اجلال وتقدير ولكن لابد لي من ايراد بعض الملاحظات ــ في حدود ما لكل انسان من تصور ــ اهمهـــا :

اولا ــ الحضور الشخصي للمؤلف اثناء بحثه للقيم المطلقة فلا يخلو ان ترى مثل هذه العبارات « وقد اتحير حتى الدهش » أو « ولا يذهب بك الظن الى اني ارفض شيئا من دعوة الشارع الاعظم» وغير ذلـك .

ثانيا ــ تعقيد الاسلوب احيانا ووعورة كثير مـن الالفـاظ والتراكيب .

ويكاد هذا يكون قاسما مشتركا بين جميع الفلاسفة العرب ولعـل لديهم كثـيرا من الحق في ذلـك فالمطلوب جـلاء الفكرة لاثوبها اللفظي .

ثالثا ــ في تضاعيف الكتاب تعثر احيانا على اتهامات يلوح منها انها مقتصرة على رجـال الدين عند طائفـة العلويين مع العلم انها مشتركة بين الجميع .

واخيرا فليس لدي ماأقوله سوى ان اتوجه بخالص الشكـر لله سبحانه الذي اعطى هذا الشيخ الجليل صبرا وقدرة على تقديم ماقدم من ذخيرة سوف تضاف الى كنوز الانسانية الفكرية فتغنيها.

جبلة في ١٩٧٠/٥/٣١

عز الـدين

كتـــاب أبي

قـد يستغرب القارىء الكريم ان يكون اسم هذا الكتـاب مابعـد القمر ، لانه ربما لم يرقى فصوله مايدل على ذلك ، ولكـن وبعد التروي لم أجد اسما يليق بهذا الكتاب النفيس مثل هذا الاسم لانه بعد ان اكتشفت مادية القمر وتبدد عنه غشاء الروحانية اباح هذا التدين المعروض بغير علم ومعرفة ، وبدون شرع وكتاب ، اباح للعقل ان ينطلق من عقاله ، وان ينشط من قيوده الوهمية ، قيود المادة ، راجعا الى عالمه عالم الاطلاق الذي لايحد الا بعدم تحديده .

الا ترى ان كل امرء حاول الحصول على غاية سواء كـانت مادية أو معنوية يحصر درسه ومدارساته ، يستجمع قوى فكره ، ووافر ذكائه وراء الحصول على هذه الغاية ، فاذا توفق وحصل عليها قلت دراسته ، وفترت همته ، وربما توهم انه حصل على الغاية التي ليس ورائها غاية ، ولا دونها نهاية ، الا اذا دله عقلـه ، واعطاه إعمال فكره ان كل غاية طريق لغاية اخرى ، الى غاية ليست بذاتهـا غاية الا بالنسبة لانتهاء جميع الغايات اليها ، وبهذا حـد الاعتقاد بروحانية القمر من نشاط العقل وضرب دونه ودون الحقائق سدا من الاوهـام .

وباكتشاف مادية القمر ، اتيح للعقل ان ينشط من عقـاله ،

رغم من زعموا انهم اعتقلوه ليحرروه ، او حرروه ليعتقلوه ، اتيح لهذا العقل المعتقل ان يكسر القيود ، ويحطم الحواجز بينه وبين عالمه المطلق ، فطفق يستجلي كوامن الاسرار ، وخوافي التكوين من باطن المادة ، وصفاء الاطلاق ، لايلوي على منحنيات الطريق ، ولا يابه لمضللات العقول ، فاتخذ المادة سلما لمعرفة ماوراء المادة فاتصل مباشرة بعالمه عالم الاطلاق ، الذي وصف بانه فوق المكان والزمان لا بل لايضمه فوق ، ولا يحويه تحت ، وتعالى عن كل ماينعت به المكان والمتمكن به ، والزمان والمتزمن ، لانه محيط بالزمان والمكان ، وبهذا يكون مكان هذا العالم البساطة ، وزمانه التجرد ، وتعلمه الاشراق الالهي ، والفيض الروحي ، وعلمه التكيف بمفعول الفيض والاشراق .

وهذا العالم المطلق ، يدير هذا العالم بمشيئة آلهه ، وارادة مكونه ، بيده وتحت تصرفه دثوره وتجدده ، وفعله وانفعاله ، وكونه وكيانه ، فاتصاله به اتصال تصرف وتدبير فقط ، لااختلاط ممازجة ، ولا كيفية اتحاد ، بل هو اتصال المعنى باللفظ ، والحياة بالحيوية ، وانفصاله عنه هو التحول من صورة لاخرى ، والدثور عن هيئته الى التشكل بثانية ، وهو في كل مفاعيله هذه يستمد من بارئه ليس الا .

فجمعت بلا وصل وفرقت بلا فصل .

أقرأ هذا الكتاب مترويا وعاود قرائتهمتانيا تجد مؤلفه ابي ياخذ

نظرات العلماء وتحقيقهم ما حققته لهم المادة ، فيقابله بالحديث الشريف ، والقرآن الكريم ، وما أثر عن اهل الكشف من العلماء الالهيين ، فتجد ان هذا هو ذاك .

ولا مندوحة لي من ان اعترف بالقصور عن حمده سبحانه لانه شرفني بابوة من لولا وجوده في هذا العصر عصر الاكتشاف عصر الاعاجيب الذي اذهل عقول رجال الدين فركنوا لتكذيب العلم تثبيتا لقواعدهم وحملوا بالتكفير على كل من يصدق العلم، والمستغرب وغفر الله لنا جميعا ان لكل منهم في كل مجلس راي غير الرأي في المجلس الآخر ويخرجون من هذا المأزق بلباقة شرسة بقولهم للمقتدين بهم لا يجوز أن نعطي غيركم هذه الاسرار فاحتفظوا بها وكل من قرأ القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة وما اثر عن كبار العلماء علم انهم لا يتحدون ابي بل انما يتحدون الوحي والعلم وهدانا الله جميعا .

١٩٧٠/٦/٧

محمد أحمد حيدر

العلـم والـديـن

أجمع رأي المشايخ بعد مشاورة فنية ، ان العلم يتنافى مـع الدين ، وما ذلك الا ليقدروا ان يحولوا بين عامة الشعب والعلـم ، ويفرقوا بين العقل والتعقل ، فيظلون دائما ارباب الشعب وقـواده يقودونه كمـا يشاؤون ، ولم يتروا فيقدروا ماتجر عليهم هـذه الخطط النكراء ، التي لم تعد خططا مجهولة ، ولو تبصروا قليـلا لعلموا ان الذي يتنافى مع العلم هو الجهل فقط ، لما اكتشف الانسان القمر ، واتضح بما لايقبل الشك ان القمر ليس مضيئا بذاته ولكنه يستمد نوره من الشمس كما ورد عن سائر اكثر العلماء من آلاف السنين الى الآن فالتبس بذلك على رجال الدين أمرهم ، لانهم فقدوا بفقدهم روحانية القمر سندهم الاقوى لتدعيم مراكزهم الوهمية فصوروا لبسطاء الشعب ان اكتشاف القمر ونزول السفينة عليه شيء بنظر العين فقط بحسب قوله سبحانه (ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وهي كصلب المسيح باخبار القرآن عنه (ماقتلوه ولا صلبوه ولكن شبه لهم) .

وحجتهـم على اثبـات تنـافي العلـم والديـن بـولادة المسيح ، ان هي الا حجة داحضة ، وهي عليهم لا لهم ، لانهم كأنهم يقولون ليس للقوة الالهية ، ان تفعل ، ولا أن تشيء ، ولا ان تنظم ، ولا ان تتحدى ، وكأنهم يعلنون للملأ نكرانهم المعاجز النبوية ، لابل

الالهية ، ومع هذا يقبل اكثرهم ان تنسب اليه الكرامات الخارقة ، المتلاعبة بالمهيمات كما تشاء على زعمه ، التي لو كانت ، لكانت معاجز ذاتية يحق لفاعلها ان يدعي النبوة ، ويكون مع ذلك صادقا .

ان خلقة المسيح كلها من تكوينه من نفخة الهية ، الى تكلمه في المهد صبيا الى معاجزه المتنوعة المدهلة ، الى رفع الله اياه بجسمه الى السماء كما عليه الجميع ، كله تحد لنظم الطبيعة . ولو رجعنا الى الحقائق لاعطانا رجوعنا اليها ، ان ليس بولادته نفخة قدسية ، ولا بتكلمه في المهد ، ولا ، ولا ، شيء يتنافى مع العلم ، لان المسيح كلمة الله القاها الى مريم ، وكلمة الله هي العلم كله ، والدين كله .

ولو نقلنا ولادة المسيح الجسمية المادية ، الى ولادة روحية معنوية ، لوجدنا ان كل نفس الهية (مريما) ، وكل عقل الهي (عيسى) ، وكل عيسى كلمة الهية ، نفخها الله من روحه في جيب مريم النفس فتولد عيسى العقل ناطقا في مهده ، قائلا اني عبد الله آتاني الكتاب ، وجعلني نبيا لاعضاء بدني ، ولاهوائي ، وقوى نفسي جميعها ، وجعلني مباركا اينما كنت ، في سائر هذه الاعضاء ، والقوى كلها ، واوصاني بالصلاة ، والزكاة مادمت حيا ، بالحياة المعنوية .

والى ذلك فمن جهل المرء نفسه ، ان يعتقد ، او يقول ، ان العلم يتنافى مع الدين ، لان الانسان مخلوق على مثال الصورة الجامعة للصور الكلية ، فهو من الاكوان كالدهن من السمسم ، وكالزبد من مخيض ، لا بل هو السر الذي كون الكون لاجله ، وهو

الغاية وما سواه الوسيلة ، قال بعضهم :

دواؤك منك وما تشعر ودواؤك فيك ولا تبصر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

ولسنا نحدد الكتابة عن الانسان ، وعظمته ، وبم كان خليفة الله على الارض . ولكن لعله لم يكشف شيئا ماديا كان او معنويا ، الا وكان هذا الكشف ذاته كشفا عن ناحية من نواحي هذا المكتشف، وبالتالي هو كشف عن ناحية من نواحي عظمة الله المحيطة .

ليس على هذه المكونات . وعظمتها ، وجلالتها ، واتساعها ، وانفاق صنعها . دال على قادر على كل شيء ، اليس كل ماكان المرء عالما باسرار هذا الكون اكثر ، كان اشد ايقانا بالله ، ومع هذا الاتساع العلمي . من اكتشاف الفضاء ، ومن التطلع الى معرفة الكواكب . الى الهجرة اليها ، وما اشبه من العجائب التي بدهت العقل بما لايكاد يتصوره العقل ؟ بعد هذا يقال ان العلم يتنافى مع الدين .

وقد أرى انه مهما بلغ المرء في مجالات التثقيف ، ومهما تزين بمكارم الاخلاق ، مراعيا الانسانية ، وشروطها ، لايبلغ رتبة يحسد عليها ، اذا لم يكن حرا بعقله ، وطليقا بفكره ، وعلمه ، وتصرفه من سلطان رجال الدين ، الذين اتخذوا الهيئات والاشكال شباكا لاصطياد الدنيا وسائر زخارفها ومتعها .

تعبد الله وكثير منا من يطيل العبادة ، ولكن الاكثر لايعلم كيف يعبد . ولا من يعبد ، لقن كلمات فهو يكررها ، ويرددها ، معتبرا بها اوقاتا خمسة كل يوم ، فالصلاة المشروعة باستقبال القبلة كما هو معروض عن النبي بشريعته السمحاء ، وسائر الحدود الخمس ، نعما هي ، ونعما اقامتها ، ونعما التقرب الى الله بها ، ولكني ارى لبعضها خصوصيا لمعان عمومية لان رسول الله ص قال الصلاة صلة بين العبد وربه . فكل عمل يصل العبد بالله صلاة ، وكل مكان عمل به عمل خالص لله فهو مسجد ، لقوله ص جعلت الارض لي مسجدا وطهورا ، ولا شك بأن اكمل واطهر مسجد لله هو القلب . وبهذا شرحت الآية الكريمة ، (ان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا) ، وفي الحديث القدسي ، (قلب المؤمن حرمي ، وحرام على حرمي ان يسكنه احد غيري) ، وبه شرح قوله سبحانه ، (في بيوت اذن الله ان ترفع ، ويذكر فيها اسمه) .

فالرجل الذاهب للمسجد ، لاداء الواجب الالهي ، اذا لم يحمله قلبه بطهارته . وارادته بحبه الخالص للصلاة ، شاعرا كل الشعور بوجوب اداء هذا الواجب ، فما الذي يجنيه من صلاته .

قد كرهت الصلاة لولا امور مهملات فديتهن افورا

على ان تحديد العلم في التعاليم الاسلامية ، يجمع كل فن من فنون العلم ، وكل ما يوجد يجب ان يعلم وليس العلم في الدين الاسلامي مقصورا على اداء الفروض والسنن ، والا فما معنى قوله سبحانه

(فليتفكروا في خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار) وقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) وقوله (ص) (من لم ير من السماء الا زرقتها ومن الارض الا غبرتها ، فأي فرق بينه وبين البهيمة) ؛ فالعلم عبادة لاتجاريها عبادة ، وخير مايعبده عابد ، أو يعرفه عالم ؛ أن يهتدي المرء الى ان لله سرا في مكوناته وبهذا السر يعرف الحقائق الوجودية في نفسه وفيما حوله ، وهذا هو قوله (ص) العلماء ورثة الانبياء ، الم يكن الانبياء يعلمون اسرار الكون بعلم الله لابذواتهم ولكنهم يستمدون ويمدون ، ويستفيضون ويفيضون ، وكيف يكون العالم وارث النبي اذا لم يكن عالما بما هو عليه الكون والتكوين بحسب الطاقة ولذا قيل ، الحكمة هي التشبه بالاله ، بحسب الطاقة البشرية .

الدين والعلم كلاهما يأمر جادا بالبحث والنظر عن كل شيء ، وتعلم وتعليم كل شيء حتى بالاحاطة بكل معلوم، محسوس أو معقول بحسب الطاقة ، ولا مناص من أن يكون رجل الدين عالما بأنواع الشرور وفنون المعاصي ليعلم كيف يتجنبها ، ويجنبها ولكنه لايجوز ان يكون هذا العلم هو العلم الذي يتحد بالعالم .

قدموا شابا لافلاطون ، واقسموا له انه لايعرف من الشر شيئا ، فقال اذن لايعلم من الخير شيئا ، وبضدها تتميز الاشياء ومن جهل شيئا عاداه .

ولا يذهب بك الظن الى انني ارفض شيئا مما سنه الشارع

الاعظم . لانظن ذلك ؛ انني حريص على القيام بسائر اوامر الشرع الشريف وترك نواهيه . وارى انه ان كان مقيمها عالما بان الروح قبل ارتباطها بالبدن . كان تكليفها قبول الاشراق المعنوي فقط ؛ وبعد ان حصل لها التركيب البدني . واكتسبت بدنها الحياة بمجاورتها له .

فصح تكليفها مركبا من محسوس شرعي ؛ ومعقول معنوي فكون شرف واكمل غير انني اعتقد مع هذا ان الدين يفرض على وجه الاكمل ـ سوامس الكونية . فبالايمان بها معرفة عظمة المكون ، الذي لو خلق شيئا عبثا فكون معرفة هذا الشيء منافية للدين ، ولم يكون شيئا الا وكان ذلك الشيء دليلا عليه ، (وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد) وبكثرة الادلة العظيمة ، تتجلى عظمة المدلول عليه .

وقد احتار حتى الدهش ، في محاربة هذه الاكتشافات الجديدة ، وما في تكذيبها الذي يعطي صاحبه لقب الكاذب المغفل ، انستطيع بذلك ان نوقف ركب الحضارة ، او نقضي على سنة التطور ، لا بل نكون موضع المثل (مغفل ومنافس) .

فمحاربة هذه الاكتشافات ؛ ليس هو جهل علمي فحسب ، بل هو جهل الانسان نفسه ؛ فالانسان براي الجميع ، صورة مصغرة عن جميع المكونات ، محسوسها ومعقولها ، وكثيفها ولطيفها ، ولكنها صورة غامضة التركيب ، دقيقة الصنع ، والمكونات بأجمعها صورة مكبرة لهذا الانسان ؛ في تركيبه البدني وهذه الصورة دقيقة الصنع

غامضة التركيب أيضا ، وبهذا كان الانسان مخلوقا على صورة ا
وبه كان خليفة الله .

وكشف محتويات هذا الانسان ، لايكون الا اذا اكتشفت أسرار الكون بأجمعه ، المادي والمعنوي واكتشاف أسرار الكون غير ممكن الا بمعرفة تامة محددة ، وهذا غير ممكن ، فكل عصر لم يظلله العلمان ، المعنوي والمادي ، يطغى به رجال الدين ، فيجمدون العلم ، وبتجميده تحجير العقول ، وذلك لاخضاع الناس لسطانهم ، فتراهم عند اكتشاف كل شيء جديد غير مألوف ، يكثرون من ايراد الحجج المحجوجة مثل ، (ان الحقائق عرفت بواسطة السلف الصالح وكل جديد ضلالة ، وكل ضلالة في النار) ، وهكذا .

ولعلك علمت كيف فعل رجال الدين بمن قال بدوران الارض ، وكرويتها ، وبمن قال بتأثير الجراثيم لان القول بتأثيرها جراءة على الله على زعمهم وتحد لفاعليته ، حتى كان من جراء ذلك تحريق رجال العلم ، وتقتيلهم بكل انواع الاساليب الوحشية ، ولا يغيب عنك مصرع سقراط ، وبيع افلاطون بيع العبيد ، وهرب ارسطو وانتحاره وما كان في عهد المهدي العباسي ، من امره الجدليين في الرد على الملحدين ، وانشائه ديوان للبحث عن الزنادقة وعلمت مافعل غيره بالعلماء ، وكيف صلبوهم وما حل بالتسطامي ، والسهروردي ، والحلاج ، وما نزل بابن رشد ، دخل ابن رشد الجامع (بفاس) ليصلي فاخرج هو وابنه ، ونصب امام المسجد للبصق عليه عند الدخول والخروج وما نزل بالمعلم الثاني الفارابي ، والرئيس ابن

سينا فقال فيهما شاعر بعصرهما :

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شؤم على العصر

لاتقتدي بالـدين الا بمـا قال ابن سينا وابو نصر

ولعله لم يفت علمك ماحل (بكربونيوكس) ، وكيف ادين (تولو) باحراقه حيا ، بعد ان مزقوا لسانه ، لانه قال بالتطور ، وما نـال (ديكارات) ، وماحل بمخترع المرقب (التلسكوب) غاليلو ؛ كل هذا وقع وضعفه واضعاف ضعفه برجال العلم ، من تأثير رجال الدين ، واحسرتاه للعلم والعلماء ووأرحمتاه للدين والتدين .

ولكن العلم في كل مرة يعود فينتصر ، ويمجد أهله ، ولكن اكثر مايكون تمجيد واحدهم بعد موته ينتصر العلم فيثأر لنفسه، ولكن ثاره لنفسه لايكون بالعفو عمن ظلمه فحسب .

بل يكسر الآلات التي عذب بها لئلا يعذب بها غيره ويحطم أبواب السجون ، التي أنشأها الجهل لابادة العلم واهله لئلا تكون سجنا آخر لآخرين ينتصر العلم، فيكون لاعدائه أبا رحيما ،واما رؤوفا، فهذا الحنان والرافة من العلم لاعدائه ليستا الا الدين والتدين، اذن العلم والدين كفتا ميزان ، لايقوم أحدها الا بصاحبه ، واذا افترقا يكون احسن ما بالتدين صدق الاتكال ، وصاحبه دائما على خطر ، ولا شأن للعلم والدين ، الا اصـلاح المفسدين ، وتعبيد الطريق للمريدين ، بتعريفهما ان كل جـزء من اجزاء هذا الكون البعيد

الجوانب ، المترامي الاطراف يؤدي دوره الذي خلق لتمثيله ، بكل دقة وتنظيم ، فالكون مجموعة يرتبط اجزاؤها ، بسائرها ، ويرتبط سائرها بسائر اجزائها في الكون والفساد ، والعمل والتفاعل الذي يقتضي تأثير كل شيء بالشيء الآخر فهو جسم متحرك ، منظم ، وكل حركة به ، وكل حياة وتنظيم ، واتجاه ، اينما كان ، وكيف اتجه ، فوجهتـه جهـة وجه الله (اينما توليتم فثـم وجه الله) ، ان لم ينصرف عن وجهته الخيرة ، الى وجهة شريرة ممتدة مـن محاربته فطرته .

الانسـان خليفـة الله في الارض ، بمـا يبذلـه من جهـد ومواظبة ، لنيل التدين الصحيح بفهم الدين فهما صحيحا ، ولكـن الدين لا يفهم فهما صحيحا . الا بالعلم الصحيح ، كلما ازداد العلم اتساعا ، ازداد الدين رسوخا بصدور اهله فالعلم وحده هو الطريق القويم لمعرفة الدين ، وهو الذي يكمل به التدين فقط ، لانه محطم انواع الاصنام وأنواعها كثيرة ، ومزيل العوائق والعراقيل عن الطريق ، والعراقيل والعوائق شتى .

ولا تصبح العبادة فضيلة سامية ، وكمالا شامخا الا بالعلم ، ركعة من عالم خير من الف ركعة من زاهد ، فمن زعم ان العلم يتنافى مع الديـن ، فقد رضي من العلم مبلـغ الرعاع ، وحصة الاعمـى من الشعاع .

فرق هائل ، وبون شاسع ، بين أن يعبد العالم ، وأن يعبد

الجاهل ، ولم يخطىء من قال :

من لايدري عن الله شيئا ، ولا عن محكم آثار قدرته في مكوناته ، كما يكشف عنها العلم المادي . والعلم المعنوي هو ببغاء يردد مالقنه ، وعبادته غير عبادة العلماء ، فعبادة العلماء ، عبادة فكر ، وتأمل ، وبحث . واستقراء . اولا ثم ألفاظ ثانيا ، فعبادتهم لله معرفتهم ان لهم الشرف بأن يكونوا عبيدا لله ، ولهم الفخر كل الفخر بعبادته لانه اهل العبادة ونكاد تكون عبادتهم لاطمعا في جنة ولا خوف من نار .

والعلم الحديث الذي انكرناه لجهلنا ، قواعد يستقر عليها كل اعتقاد صحيح ، وايمان ثابت ، ولا تزال الكشوف دائبة مستمرة عن اسرار هذا الكون ، وقد تتسع غدا لما لم تكن تتسع له اليوم ، وكل باحث في فن من الفنون العلمية ، اذا استهدف ببحثه الكشف العلمي البريء الداعي لترفيه البشرية ، او التعرف على جانب من جوانب صفات الله فهو اكبر عابد ، واحسن راكع ، واطهر ساجد .

وعلى ذكر العلم الحديث نرى ان اكثر الفيزيائيين تعمقا في معرفة مخبآت الكون يقول : ان جميع الصور التي يرسمها العلم للطبيعة . انما هي صور رياضية ، لم تستطع الفيزياء ولا الرياضيات ان توجد النماذج المادية المحسوسة لتوضيحها ، وان العلم لم يلمس بعد الحقيقة القصوى ، ويرى كثير منهم ، ان اكتشافات القرن العشرين ليست النظرية النسبية ونظرية الكم ، ولا تجزئة الذرة ، ولا غزو الفضاء ، بل الاهم من ذلك كله ، ان الفيزياء انتهت بهم الى

طريق مسدودة ، لم يصلوا به الى الحقيقة .

ولكن هذه الطريق المسدودة لابد ان تفتح لهم فكم مرة وجد العلماء طرقهم مسدودة ، ويفتح الله عليهم ، ولكن الوصول الى الحقيقة محاطا بها لن يكون ، القول بتنافي الدين مع العلم شيء مذهل . الا ترى ان كل كائن مهما بلغ به الجهل ، وتدنت به البساطة، يعظم العلم ويستعظم رجاله ، واحسب ان هذا هو مفعول الفطرة الالهية التي فطر الله الناس عليها ولو كان القول بتنافي العلم مع الدين صحيحا لما عظم القرآن العلم والعلماء هذا التعظيم المرفق بالاكبار والاعظام ، ولو لم يكن للعلم شأنه بالهداية والتدين لما كان الله هو المعلم نفسه بقوله (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، وبقوله سبحانه (ويعلمكم الله مالم تكونوا تعلمون) ، ولتفضيل العلم على كل شيء قال سبحانه : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) ، ولقد نهي عن مثل مانحن فيه فقال : (ولا تقف ما ليس لك به علم) وعذر الله الجهلاء بأفعالهم بأشد التقريع فقال (ذلك مبلغهم من العلم) وفي الحديث الشريف مايعرف ان سائر الكمالات المادية والمعنوية لم تكن الا عن طريق العلم قال (ص) (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم) ، وقال (ص) : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ، وقال (ص) (ان الله يحب بغاة العلم) .

وربما زعم المشايخ ، ان العلم المذكور في الحديث ، والقرآن

هو علم الشريعة فقط ؛ ولكن ماأوردناه عن القرآن والرسول على مطلق العلم .

والسر في تعظيم العلم هذا التعظيم هو رفعة الانسان البهيمية الى الملائكية فمحل العلم بعد الله والملائكة نفس الان الذي هو اشرف الموجودات ؛ والغاية التي يطلبها الانسان الم حتى خلوصه من بدنه ؛ ودخوله الجنة ؛ هي العلم ، ولا شك بمعرفة العلم الصحيح تعرف اضداده ؛ من خساسة الجهل الم للعلم وهو العلم الذي يريد به صاحبه الختل والرئاء عن ال اص ، رب عالم قتله جهله وعلمه معه لاينفعه ، وقال : رب ع للفعه كان عبدا للشيطان .

ويمتاز هذا المدعي العلم بتعجرفه المتجاوز ، وانانيته المفرط فالذين اكلوا الدنيا باسم الدين ؛ رجلان رجل منتفخ الاوداج والو متغطرس الشكل والهيئة يدعي العلم ويلبس له لبوسه بعين البسط ورجل اظهر الزهد والورع ، تدنى ليتعالى ، وتصاغر ليتعاظم ، تر رجلا من كلا هذين الا وكان به نقص داخلي ، فتظاهر بما ي به ليكمل من نقصه ويصلح من فاسده .

والخطر المحدق بالكون اجمعه في كل زمان ومكان هم هؤ المدلون باشكالهم ؛والمتبخترون بدمائتهم والمعتزون بلينهم ،والمتكبر بخفوت منطقهم ، وطويل صلاتهم ، ولا بد انهم هم الذين قسموا شريعة الى شرائع ؛ وكل مذهب الى مذاهب .

الخلاصة ، ان التفكير العقلي الصحيح ، هو طريق السعادة للعلم ، والعلم هو المصباح الذي ينير دياجير كل انواع الليالي ، بكشفه عن كل الحقائق ، واذا أخطأه صاحبه بما يركم على عقله من حب المظهر ، ودرن العجرفة وما الى ذلك ولا بد حينئذ من تسكع هذا الرجل في ظلمات الجهل والحيرة ، فيتهافت نظره العقلي ، ويرتد الى الحياة المرائية ، ومنها الى الحياة الآلية عن المراشف الالهية ، اشباعا لغريزته لا لروحه .

الشمس والقمر

وبعد ان عرفنا بما تقدم بأنه لا منافاة بين الدين والعلم ، كما زعم مشائخنا ، بما لا يقدر على رده احد ، ولعلنا كنا في غنى عنه لانه معروف ببداهة حتى عند الاميين، ولكن ماكتبناه ربما كان به نظرات مهمة ، وفوائد لا غنى عنها ، بعد هذا نتكلم عن الشمس والقمر ، لان كتابنا هذا الف لذلك .

اجمع أصحاب الاديان قديمها وحديثها ، على وجود خالق قدير ، واعتقد كلهم أو اكثرهم عبادة الاجرام السماوية ، بأعتبارها مظاهر حركة القوة الفعالة ، وعزوها من حيث الافعال الى ثلث اقانيم ، (الجوهر ، والمادة ، والحياة) ، وقد اقاموا لها تماثيل رمزا على عبادتها ، وزلفى اليها ، وقد وضح هذا بما رواه الذكر الحكيم بقصة الخليل ابراهيم ، بقوله : اذ قال ابراهيم لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين .

ويتضح لي ان كل امة من الامم السابقة اقامت أصناما

تحت ضباب الارض مخزونة دفينة ، ونجدها حتى اذا فكرنا فما نتفقه في التفكير من طاقة مردها الى الشمس ، وعلى هذا فقد اجاد كل الاجادة من شبه الشمس بالابداع الاول ، الذي عنه وجدت الشمس لان هذا الابداع هو سر الله الساري في مكوناته ينظمها ، ويديرها ، تحي به وتفنى اليه وتعود منه كي تكون كما بداها اول مرة . ولكن الشمس تهب ما ليس عندها ، او يوهب بواسطتها ما ليس عندها . تهب الاشياء حيويتها ، ونمائها ، وليست بذات حياة وانما بالابداع هو ماقاله : افلاطون بأن الشمس مولد الخير ووالدها الخير الاعظم على صورته . ومثاله فعلاقتها بالعلم المنظور بالبصر ، وبالمثال كعلاقة الخير الاعظم في العالم الروحي ، بالذهن والموضوعات ، كاد ان يجمع الجميع حكماء وفلاسفة من فلاسفة اليونان وحكمائه ، الى فلاسفة الاسلام وحكمائه ، ان القمر ليس هو منيرا بذاته بل يكتسب نوره من الشمس . ويرد نور الشمس عنه كما يرد نورها المرآة فهو منير مادام يرد اليه نور الشمس ، فاذا عرض له ان يحول بينهما ظل الارض ، انخسف واظلم ، فالنور للشمس بالاصالة ، وللقمر بمجرد الاستعارة ، وعلى هذا فكل نور واجه مرآة او شيئا صقيلا فهما شمس وقمر ولكن العلم الحديث اثبت ، بانك لو كنت على سطح القمر ونظرت الى الارض لوجدتها قمرا في كبد السماء تدور بمثل الاوجه الذي يدور بها القمر في السماء فتكون هلالا ، وبدرا تترائى بدرا اكبر من بدر القمر بأربع مرات ، ولها مثل ضيائه ستين مرة ، فارضنا مرآة تعكس النور ، لان لها جوا يلفها والجو يحسن عكس الضياء ، ونرى القمر بنور عكسته

عبادة الاصنام

لم تكن عبادة الاصنام في كل حالاتها ؛ الا رمزا لعبادة الاجرام السماوية . ولم تكن عبادة الاجرام السماوية في الاصل الا وسائط روحيات . او اشخاص لها يعرف ذلك من تتبع مقالات عبدة الاصنام . ويؤكده معرفة اهل اللغة (الصنم) فالصنم لغة هو الوثن ؛ وهو صورة او تمثال لانسان او حيوان يتخذ للعبادة .

الصابئة

فالصابئة عبدة النجوم فرقتان ، صابئة الروم ، ومفزعها السيارات . وصابئة الهند ، ومفزعها الثوابت ، والاولى عبدة الكواكب . والثانية عبدة الاصنام . نبيهم الذي ارسل اليهم خليل الله ابراهيم . كسر اصنامهم كما هو مذكور في محله من كتب السير ؛ قال الله سبحانه بسرد قصته مع قومه وتكسيره اصنامهم ، ولقد آتينا ابراهيم رشده وكنا به عالمين ؛ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ؛ قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ؛ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من

فعل هذا بألهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) الخ . هذه هي الفرقة الثانية التي تعبد الاصنام مشخصة بالكواكب لانه لابد من متوسط وشفيع بينهم وبين الروحانيات وحيث لا تخاطب بالالسن فهم يتحقق التقرب اليها الا بهياكلها ، اي بصورها وهي الكواكب ، ولكن الهياكل تطلع وتغيب ، ولا بد من صور واشخاص موجودة قائمة (نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى) ، فاتخذوا أصناما على مثال الهياكل السبعة ، وقد ناظر ابراهيم الخليل كلا من الفريقين فأبتدأ بأصحاب الاشخاص كما اخبر سبحانه . اذ قال ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين ، وكما في قوله سبحانه على لسان ابراهيم (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يغني عنك شيئا) ، ثم ترقب منهم غرة حتى كانت فكسر الاصنام وابقى كبيرها . وعندما سألوه عمن فعل هذا الفعل ، قال فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون الخ .

والفريق الذي يعبد الكواكب والقمر والشمس وفعله الخليل معهم كما سردها الله سبحانه بقوله : وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما افلت قال : ياقوم اني بريء مما تشركون ، اني وجهت

وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين) .

فاكثر الشراح على ان قوم ابراهيم كانوا يعبدون الكوكب والقمر ، والشمس ، وان ابراهيم ماشاهم ليعرفهم ان المعبود الحق غير ما توهموا بعبادتهم ، وابان لهم ان كل أفل ، وطالع لا يجوز ان يكون ربا .

وقد يتجلى من هذا وغيره ، ان العرب كانوا يعبدون الكواكب مثل الصابئة من سائر الامم ويقيمون لها التماثيل ، وهذا كل ما بينهم وبين نبيهم محمد (ص) ، وقد كان حكماء العرب احكم واسما من ان يعبدوا احجارا ، ومن راجع التاريخ وجد التعقل الرزين بعظماء بني مخزوم ، واحسن منه بحكماء بني هاشم وسائر حكماء العرب ايعبد هؤلاء احجارا كلا ، وقد خبر القرآن الكريم عن حجتهم بعبادة الاصنام بقوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والذي بينهم وبين نبيهم (ص) تماثيل الشمس والقمر وغيرهما ولهذا اكثر القرآن الكريم من التهديد والتحذير من عبادة الشمس والقمر مثل قوله (سبحانه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) وقوله (وسخر لكم الشمس والقمر) وقوله (والقمر قدرناه منازل) حتى لم يذكر القرآن مرة الشمس او القمر الا ونعتهما بأنهما مجعولين او مسخرين او مقدرين او مخلوقين .

وكثير من الاحاديث الشريفة ما يحذر من دخول جهنم بسبب

عبادة الشمس والقمر ويذكر التاريخ ان الاصنام هي تماثيل للشمس والقمر . والكواكب ، فمن اجمل آثار تدمر بقايا معبد الاله الشمس، وهو شكل مربع اقيم على اربعمائة عمود وقد نقله عن تدمر ، ورليانوس ، لما غلب الملكة العربية (زنوبيا) الى هيكل الشمس الجديد . الذي احدثه (برومة) ، واقامه لآله الشمس الشرقي .

عن الجباءى انهم زعموا ان الملائكة بنات الله ، وصوروا اصنامهم على صورهم واشتقوا لها أسماء من أسماء الله (فاللات) مأخوذ من الله و (العزى) من العزيز .

وورد في شرح سورة فصلت ان المشركين كانوا يعبدون الشمس والقمر وفي تاريخ العرب ، قامت ديانة الجنوب ، (اليمن) في جوهرها على تالية النجوم السيارة ، وتركزت على عبادة القمر الاله (سين) . واسمه (ود) عند المعنيين ، وعند سبأ اسمه (المقة) ، الاله المعطي . وكانت له الزعامة على آلهتهم ، وقد صوره عبّاده آلهاً ذكرا واعتبروا الشمس زوجه ، وانتج هذا الزواج السماوي اجراما فلكية ، أخرى ، اتخذوها آلهة ، ويحتمل ان تكون الآلهة العربية الشمالية المذكورة في القرآن هي اسم آخر لالهة الشمس هذه .

وكذلك كان التدمريون ، ولا يزال هيكل الشمس هذا اروع أثر لمجد تدمر القديم وحضر (الحجاز) ، اقاموا محارم (للعزى ، واللاة ، ومناة) ، وهي بنات الله ، يعبدونهن زلفى اليه ، والعزى

ثالثة الاعز : اي الاقوى ، تمثال كوكب الصبح ، او الزهرة مقرها وادي نخلة الى الشرق من مكة ، وكانت اعظم اصنام قريش ، وكذلك العزى ، هي الالهة (عزيان) ، اهداها رجل من الجنوب تمثالا ذهبا لشفاء اخته ، وكان اسم عبد العزى كثير الشيوع ، ومناة من المنية جمعها منايا هي الهة القضاء والقدر وصنمها حجر اسود عظيم القدر عند الاوس والخزرج ، وكان المقدم على المعبودات بالكعبة (الله) ويقول (دربنوغ) انه رآه (أي الله) في رقيم معيني قديم وفي نقوش صنعاء ورد هذا الاسم هكذا (هلاه) قبل الاسلام بخمسة قرون ، وكان الحج الى الاماكن المقدسة نظاما ساميا مقدسا ، ولعله ظاهرة من عبادة الشمس .

تعداد الشموس والاقمار

اثبتت الاكتشافات الحديثة ، ان لارضنا قمرا واحدا : ولبعض الكواكب اقمارا كثيرة ، ويدور كل من هذه الاقمار حول كوكبه ، ومنها الاكبر ، ومنها الاصغر ، فللمريخ قمران ، وللمشتري اثنا عشر قمرا ، ولزحل تسعة اقمار ، ولاورانس خمسة اقمار ، ولنبتون قمران ، والاقمار بجملتها تدور حول نفسها ، وتدور حول كوكبها ، وتدور مع كوكبها حول الشمس تدور من الشرق للغرب ، ولها اعوام كسائر الكواكب .

هذا ما اثبته العلماء بواسطة (المراصد) ، والذي لم يعرفوه اكثر مما عرفوه بملايين الملايين ، وهو ما ورد عن رسول الله (ص)

وعن غيره ، ممن سمعوه منه وعنه ، من تعدد الشموس والاقمار ، قال ص : ان من ورآء عين شمسكم هذه تسعة وثلاثين عين شمس، ومن وراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمرا .

وكم وردت هذه الرواية متممة بمثل (بأن بين كل شمس وشمس اربعين عاما ، فيها خلق كثير لا يعلمون ان الله خلق آدم أم لم يخلقه) ، وان من ورآء قمركم أربعين قرصا بين القرص الى القرص اربعين عاما .

وكذلك ورد بأن لله اكوانا منها الذي له شموس واقمار ، ومنها الذي ليس له شموس ولا اقمار قال : الامام جعفر ان لله تسعة وثلاثين ارضنا ليس بها شمس ولا قمر .

وعنه خلف قبتكم هذه اثنا عشر الف قبة لو اخذت قبتكم هذه ووضعت بواسطة واحدة منها لم تبن ، ولا يعرفون آدم ، ولا ذريته .

وعنه ان هذه قبة ابينا آدم ، لله سواها تسعة وثلاثون قبة ، لا يعلمون ان الله خلق آدم ، واكثر هذه الروايات وهي كثيرة تختم بمثل لو وضعت دنياكم هذه وسط واحدة منها كانت كحلقة خاتم ملقاة في فلاة او كشعرة بيضاء في ثور أسود .

وعن رسول الله ان لله ثمانية وعشرين الف عالم ، الدينا فيها عالم واحد ، وفي الدنيا الف امة ، ولعلك تستغرب وحق لك ان

تستغرب ، كيف حصر كل من الشموس والاقمار بالاربعين ، وكيف تغايرت اعداد الاكوان المسكونة من ورآء ارضنا من الاثنى عشرا الفا الى التسعة والثلاثين . وارضنا تمام الاربعين ، الى الثمانية وعشرين الفا لا بد انك علمت ان السبعة العددية مكان لتضعيف العدد بالها ما بلغ . ولا تتقيد بالعدد الكائن بين الستة والثمانية ، ولا بالعدد الذي بين الستين والثمانين ، ولا ولا وقدر رايتهم قالوا عن الاثنى عشر وعن الاربعين انهما مكان لتضعيف العدد ايضا كالسبعة . والثمانية وعشرون يقول رسول الله (لله ثمانية وعشرون الفعالم مضاعف سبعة ، اذن تحديدهم عدد الشموس والاقمار،وعدد الاكوان المدلوله ليس المراد به الحصر ضمن العدد المذكور ، بل المراد به عدم الحصر كما هو واضح وعليه اكتشافات العلم الحديث.

نعم حقق العلم الحديث احاديث رسول الله هذه وغيرها ، لانه يقول : بان السيارات الثمانية ، وباضافة (بلوطو) اليها تكون تسعة تابعة للشمس في تكونها ، والشمس تابعة لكوكبة من كواكب المجرة العظمى . وهي تحتوي عددا عديدا من الشموس امثال شمسنا هذه ، وتكون مكونة ، من مجرة اخرى ، وتابعة لها ، وهكذا حتى نصل الى سديمية برزت عن الغيب في الفضاء المطلق ، واذا تاملنا في تركيبها وجدناها تتكون من ذرات عدة اكبرها لا يقع عليها النظر . وترجع الى اصلها الجوهر الفرد ، والنظام الذري ، والجوهر الفرد يمثل شمسا لا ترى ، ولها من كهاربها حول النواة سيارات ايضا ، واذا بحثت عن الجوهر الفرد ، ترى انه يرجع الى القوة

العامة التي اقام الله بها كل شيء .

ومن هنا يتضح لنا ولا بد ، ونعلم من انواع هذه الشموس وكواكبها ، ووجودها مع كل شيء وفي كل شيء يتضح ان هذه الاكوان اللامتناهية ، الا بالنسبة الى اللانهاية ، وهي ظل غير متناهية .

فعلى هذا وهو الحق الثابت الصراح ، ان الشموس والاقمار، والاكوان المسكونة ، لاعدد لها معلوم لا بملايين ، ولا بمليارات ؛ وربما اختلفت ، لا بل تختلف ، في تكوينها واشكالها ، وان كانت كلها مادية ، اختلاف بني الانسان وكله جنس واحد .

واجزم كما مر بك ان كثيرا من هذه الكواكب مسكون ومأهول باحياء لا نعلم كيفية حياتهم ، ولا كيفية الحياة بهم ولا تركيبهم قد يكون تكوينهم من نور ، او من نار ، او من ماء ، او من هواء ، او غير ذلك كل شيء ممكن في العقل المجرد وهو الفاعل في المركبات ، ووعينا الانساني سر من اسرار الخلق عميق ، قد يركب النور من مادة كثيفة ونور ، فيرى ، وقد يكون مجردا لايرى ، واكثر العلماء يرون ان على المريخ حياة او عليه نبات على الاقل ومنهم من قال ان عليه حيوانات من صنف ما ، وتأكدوا انه يوجد عليه سحب من غازات سهلة التكثيف .

وتأكدوا من وجود غازات سموها غاز (اليرك) ، ويتألف

من ذرة (كربون) أو أربع ذرات (ايدروجين) ، وان بجوه غـاز (النشادر) ، ويتألف من (الازوت والايدروجين) ، وكلا الغازين خانق وتجمد الماء حيث كان من سطح هذا الكوكب ، اذن لا بـد من حيـاة عليـه .

وقالوا ان (اورانس) يبعد عن الشمس قدر بعد الارض عنها تسع عشرة مرة ، وله جو يلفـه . ونبتون أبعـد من (أورانس) بثلاثين مرة وله جـو يلفـه .

(وبلوطو) لا يزال البحث عنه جاريا ، ولا اعلم ان كانوا انتهوا من بحثه وهذه الكواكب لبعدها عن الشمس لايكون فيها حيـاة لشدة البرودة .

وما تسائل به الاستاذ أحمد زكي في كتابه القيم ، (مع الله في السماء) للتعرف ان كانت الحياة ممكنة على ظهر الكواكب ، قائـلا هل بها هواء كالذي نعهده هنا ، هل بسطحها ماء كمائنا هـذا ، وهل من حرارة معقولة ، فالهواء لازم لكل حي ، وكذلك الماء ، وكذلـك الحرارة مالم تتجاوز فتكون نارا .

أرى ان هذا خطأ ، لاننا نرى على ظهر كوكبنا هذا ، حيوانات مختلفة في الحياة فنوع من الاحياء لايعيش الا في الهواء ، وآخر في الماء ، ونوع لايحتاج الماء مطلقا ، كالضب ، ونوع يرى النور ظلاما، والظلام نورا ، كالخفاش ، ونرى الحياة بالقطب الشمالي المتجمـد

كائنة . ولا يقدر صاحبها ان يعيش بخط الاستواء ، اذن ممكن ان نكون حياة حتى ولو كان الكون مائيا او ناريا ، او هوائيا ، او ترابيا ، ولا بد من ان يوجد من كل من هؤلاء الاركان الاربعة اكوان ماهولة ، لانه ورد ان الله سبحانه خلق من كل كون منها خلقا، وارسل لهم رسلا ، واني على يقين ثابت ان العلم سيكشف عن هذا ، كما كشف عن غيره ونحقق بما كشف ما أتى عن رسول الله من تعدد الاكوان ، من وراء دنيانا هذه وعما تكلم به القرآن من دوران الارض ، والصعود الى الكواكب . وما اشبه وعلى كل فالملائكة احياء ولا شك ان اما العلاء كان عالما بهذا عندما قال :

من نجوم نارية ونجوم ناسبت تربة وماء وريحا

وعندما قال :

قادر لاشك فيه قديم وزمان على الانام تقادم
جائز ان يكون آدم هذا قبله ادم على اثر آدم
وقدير ان يخلق الله اشباح اناس بغير لحم ولا دم

أشعة الكواكب

ان كان للكوكب جو كثير عكس الينا الكثير مما يصل اليه من نور الشمس ؛ وان كان للكوكب جو قليل ، او لا جو له عكس القليل الاقل من النور ؛ فعطارد لايعكس علينا اكثر من ٦٪ مما يصل اليه من النور ، والزهرة ٧٣٪ وهكذا ، والشمس يصل الينا ضياؤها بعد غروبها ، وبعد شروقها ، ولكنه لايصل الينا مباشرة ؛

بل يتبعثر على جزئيات الهواء فيصل ضياء غير مباشر ، ضياء تكسر فحاد عن سبيله ، فسلك الينا فيما سلك من سبل ، وهو ضياء بحكم الحال ضعيف ، والشفق باق ما مست أشعة الشمس طبقة من طبقات الهواء ، ولولا هذا الغلاف الجوي ما كان للارض شفق ، ولا تقلب نور الشمس على الارض ظلاما دامسا بغتة عند غروب ، او لانقلب ظلام الليل نورا باغتا عند شروق .

الخلاصة ، ان القضية في نظري كما قال (افلاطون) في جمهوريته ، « من زعم ان القمر والنجوم مستثناة من كل اضطراب فهو رجل محتقر وان الجهود المبذولة في استكناه شاوها من ضروب العبث واذا اردنا ان نفهم الفلك فلنصرف نظرنا عن الاجرام السماوية ويجب تحول النفس كلها عن العالم العالي ليمكنها التفكر في عالم الحقيقة وفي أبهى قسم منه وهو ماندعوه (صورة الخير) وهو نفسه قول ارسطو طاليس ان الآلهة عقول مجردة تشرف على سير الكواكب والافلاك » .

وباكتشاف القمر تجردت الروحانيات ، وبتجردها تسنى للعقل ان ينطلق من عقاله باحثا عن كل شيء يصعد حتى يتجاوز الاكوان الى السديميات متعمقا وراء الذرات حتى الطاقة والاشعاع تسنى ذلك للعقل بعد ان افلت من تقيده بروحانية هـذه الانوار الموهومة وتجردها المزعوم .

ومنذ القديم والعلماء الالهيون يـرون ان لاشيء الا النور ، وبالنور ، وان الاشياء كلها نور ، تكثف بالقدرة ، وتستر بالحكمة ، ويرى الالهيون المعاصرون ان العلم الحديث بتحطيمه الذرةوتفجيرها اثبت ذلك ، وقد ثبت ان القرآن ، والحديث ، والعلمـاء الذيـن اخذوا عن القرآن ، والحديث ، انهم حدثوا عن كثير من المكتشفات الجديدة قبل ظهورها بمئات من السنين .

تحقق عندهم ، ان كل شيء نور بتحطيم الذرة ، وانتهائها عن كونها مادة الى كونها طاقة ، وليست الطاقة الا اثر القدرة الالهية ، او وجه من وجوه تصرفها ، فالكل اذن نور ، اما نور الهي مطلق ، وهو الاصل والعلة واما نور نسبي سميناه اصطلاحا ومواضعـة بالنور الطبيعي ، وسماه القدماء النور العرضي ، والاثنان نور ، احداهما نور متشيىء محس ، ونور غير متشيىء ولا محس وهو

الطاقة الاشعاعية ، ونور ثالث نبصر به الاشياء في كيفياتها ،وصورها، ثم نور فكري من نوع آخر ، ندرك به الاشياء ومعقولاتها عقلا وحسا وهناك نور عظيم ، مكون لتلك الانوار جميعها هو نور الله .

واذا نظرنا متدبرين نجد ان الوجود وحدة مطلقة ، يكونها النور ، فبالنور المطلق المحس ندرك حقائق الاشياء ونفهمها بادية لعقولنا ، وبالنور نحس مظاهرها ، وتتجلى لابصارنا ، وبقية حواسنا شيئية تلك المظاهر فنبصر الوانها بالنور ،ونسمع أصواتها بالذبذبات الصوتية التي تتحول من النور والى النور ، ونشم رائحتها عن طريق تطاير ذراتها التي صاغها النور ، ونتذوق طعومها التي كونها النور المكون للذوق ، واللمس من قبل التشيؤ ، بل أن النور محول الاشياء من صورة الى اخرى ، ومقياسها بسائر حركاتها ، وافعالها مما يدلنا على ان لهذا النور الظاهر الفاعل بغير حس وشعور اصلا آخر مكونا كله حس وشعور ، وبه تتكون الحوادث ، وتتحرك ذراتها ، وتدرك كيفياتها ، وبه ندرك نظمها ، وقوانينها ، وتقاس سرعتها .

بعد تحويل الذرة بتحطيمها من مادة كثيفة الى طاقة واشعاع هل ترى بينها وبين مانسميه نورا خفيا ، او قوة خفية ، أو ادراكا خفيا ، او روحا خفية ، الا اذا كانت هذه الفروق بين المنظور وغير المنظور ، فروقا نسبية .

واذا اردت ان تتحقق كيف ان المنظور يتحول الى غير منظور ،

ويصبح هو والفكر ، والروح ، في الخفاء سواسية فخذ جرما جامدا من الثلج ، وهو طبعا جسم متشيىء ، وعرضه لحرارة ضعيفة ، يتحول الى اصله ماء فاذا زادت الحرارة الى درجة الغليان يصبح هذا الماء بخارا ، واذا اشتدت الحرارة كثيرا يصير الماء غازا ، واذا مر بالغاز تيار كهربائي انحل الى عنصرية (الاوكسجين والهيدروجين) ، وبذا نكون وصلنا الى منطقةالعناصر بعد أن تخطينا حدود المادة المتشيئة ؛ لا بل ربما كنا على وشك مجاوزة العالم المادي المتشيىء لان عالم العناصر هو العالم البرزخي الذي يفصل بين المادة والقوة او قل بين الجرم والنور .

واذا جاوزنا عالم العناصر ولجنا مباشرة عالم الجوهر الفرد الذري ؛ وتكون المادة التي نحسها ونلمسها ونرى شيئيتها ، قد صارت كما متحركا من الطاقة الذرية التي لاترى ولا تلمس ، لاننا اذا ارجعنا العناصر الى اصلها رجعت الى اولها ومؤسسها مولد الماء ؛ الذي يتركب من (الهيدروجين) ، وهو العنصر الاول ، ومن (الاكسجين) وهو العنصر الثاني ، وهناك نرى نواة الكون الجوهرية ، او على الاصح نواة الذرة الموجبة ، وكهاربها السالبة ، تلك التي قام على طاقتها وسرعة حركتها كل كائن متشيىء ذو واقعية في عالم الطبيعة فما وراء نواة الذرة ؟ صوب الى نواة الذرة قذيفة كهربائية ذات شحنة ايجابية قوية ، واطلقها عليها ، تتبدد النواة ، وتطير شعاعا ونورا ، واذا

اردت قل قوة خفية ، ولا تظن انه يوجد فرق بين كلمة النور والقوة، الا باللفظ .

وهنا تتم الدائرة ، ويعود الكثيف لطيفا ، والمقيد مطلقا والشهادة غيبا ، كما قيل من مئات الاعوام وتحقق ماقالوه بتفجير الذرة ، وارجاعها الى اشعاعة خفية ، فكل مايرى وما لايرى في جميع الوجود من قوة وابداع وتنظيم وتنسيق ، ان هو الا مجرد آثار فقط لفاعلية الخالق الاعظم ، الكامنة في صفاته ، وخصائصه.

فنقدر ان نقول : ومعنا ماانتجه العلم الحديث ، ان الكيان الطبيعي باسره ، هو مجرد خفقات من النور ، تكونها عوامل روحية معنوية .

فهذه الاشياء المحسة ، وكيفياتها وصورها ، ومنوع شيئياتها، وغير ذلك كلها كائنات امكانية ، او حوادث اعتبارية محضة ، تتراوح دائما بين التجرد والشيئية ، متدرجة بين ذلك من السدم الى الاجرام ، الى الاجزاء الى الجزيئات ، الى الذريات ، ثم تعود مرة اخرى نورا ، او حركة ، او شكلا ، آخر من اشكال القوة او النور.

وهذا هو الذي اثر عن اهل الكشف من عظماء الالهيين ، بأن الوجود جميعه قسمان ، قسم لطيف ، وقسم كثيف ، الاول سمي عالم الغيب ، والثاني عالم الشهادة ، والقسمان واحد ، فما كان خفيا في عالم الغيب هو نفسه الظاهر في عالم الشهادة ، وما ظهر

في عالم الشهادة هو نفسه عالم الغيب ، فمن نظر الى حس الاشياء كان بالنسبة له ملكا ومن نظر الى المعاني التي هي اسرار الذات الالهية القائمة بأنوار الصفات الفاعلة في المكونات كان بالنسبة له ملكوتا ، ومن رآه نورا فائضا من النور اللطيف متصلا به تكثف بالقدرة ، وتستر بالحكمة ، كان بالنسبة له جبروتا ، فكل ماظهر في عالم الشهادة ، فهو فائض عن عالم الغيب ، وكل مابرز من عالم الغيب ، هو فائض عن عالم الملكوت ، وكل مابرز في عالم الملكوت فهو فائض عن بحر الجبروت ، فلا وجود للاشياء الا من الجبروت ، ولا قيام لها الا به ، ولا نسبة لها معه ، ولو ظهرت الانوار اللطيفة ، بلاشت الاكوان الكثيفة واذن لاظهور للكثيف اذا رجع الى اصله لطيفا ، وما مثال هذا الكون عندهم الا كالثلجة ظاهرها جامد ، وباطنها مائع ، فاذا ذوبت رجعت الى أصلها ماء ، ولم يبق للثلجة اثر فمن وقف مع ظاهر الثلجة ، أنكر ان كونها ماء وكان جاهلا بحقيقتها ، وعليه قول الشاعر :

بالنور يظهر ما ترى من صورة ... وبه وجود الكائنات بلا مرا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصيرمن الورى
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد ... شيئا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لاتزال معثرا

ولاتفاق العلم الحديث والعلم الالهي القديم على ان الكيانين النوري والمادي واحد ، تنقل بعض ما اثبتته التجربة الفيزيائية والحسية من وجود مادة لاتتمكن العين من رؤيتها الا ان العلم

احدثت انشقا كشفا وحقيقة والعلم الالهي القديم اخذها نقلا عن
احاديث النبوة والعصمة ننقلها ولسنا من علماء الفيزياء ولكننا علمنا
بوجودها مقاصد ماننقله وعلمنا حقيقة ان ماسننقله مطابق كل
المطابقة لاقوال الالهيين بأن الاشياء كلها نور ومرجعها عندما تتحلل
الى ذرات ـ تنفجر طاقات اشعاعية الى اصلها النور ، والذي
نراه انها لو تحررت تماما لتخلصت من المادة ولم تعد محرقة وعسى العلم
ان يتوصل لهذا الامل سيتوصل .

يقول استيفان بريل ، في جامعة (فيينا) من ايجاد اشعة
جاسه . اذا سلطت على انسان او حيوان ، او جماد ، جعلته
يختفي عن العين . اي ينعدم بالنسبة لحاسة البصر ، لا بل عن
عدسة التصوير ويؤمن العلماء اليوم بوجود (مضاد المادة) ، فناء
لكل مادة ، والعكس صحيح ، في حالة تواجههما ، ويبدو ان الابحاث
التي اجريت حديثا اكدت هذا ، حتى ليظن ان الكون ، (المادة ،
ومضاد المادة) قد خلقتا في آن واحد ساعة خلق الله هذا الكون ،
وهذه الفكرة تخرج عن كل حدود التصور البشري (مادة ، او شبه
مادة مضاد للمادة) خلقت في نفس الوقت ، ومن نفس الاصل وربما
كان لها نفس تطور المادة ، ولكنها لاتحمل شيئا من صفات المادة
المتعارف عليها ، وتركيبها الفيزيائي ، والذري ، ربما مثل تماما
تركيب المادة التي نعرفها ولكن بطريقة متعاكسة ، المعروف ان
المادة . اي مادة كانت ، تتركب ذراتها من نواة مركزية موجبة تدور
حولها ، الكترونات) سالبة ، بينما ذرات (مضاد المادة) تتألف من
نواة سالبة ، تدور حولها .

(الكترونات) موجبة (اي تمـاثلا عكسيا) ، واذا تواجهت المادة ، ومضاد المادة ، فانهما يفنيان ، وينتج من ذلك (الفوتونات الضوئية ؟ النورية ، تماما كما يحدث عندما يصطدم الكترون سالب مع (بوزيترون) موجب ، فينتج فوتون ضوييء ويقول الاستـاذ (يوسف مرؤة) ان تركيب مضاد المادة لم يثر عجبي فقد قال الامام منذ اكثر من ثلاثة عشرة قرنا في نهج بلاغته « ان لكل ظاهر باطنا على مثاله » ، ويظن بعض العلماء ان مضاد المادة هو مانسميه بالعرف الديني بالروح ، وجاء في القرآن الكريم ، يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وعرفنا القرآن الكريم ، من هو روح الله ،وكيف استطاع ان يقوم بالمعجزات .

ويقول العلامة السويسري (ج . ارثر فندلاي) في كتابـه (على حافة الاثير) : ما المادة الا اثير في حالة خاصة ، والاثير كلـه مادة فعلا ، والمادة كلها أثير فعلا ، أما المادة الفيزيائية التي تدركها حواسنا فهي ذلك الجزء من الاثير الذي يهتز في دائرة معينة ، واما المـادة الاثيرية ، فهي المادة التي لاتدركها حواسنا ، ويمكن اعتبـار اثير الفضاء حلقـة الاتصال الكبرى التي توجد مابين عالم المـادة والروح ، لان المادة المشتركة بين العالمين ، والعالمين جزء من كون واحـد ، والحياة في كليهما مقيدة به ، فهنا في هذا العالم المادي الذي نحيا فيه انما نحس فقط بنوع من الاهتزازات المنخفضـة الدرجة ، أما في عالم الروح ، حيث تؤدي الحياة وظائفها ، فـان الوعي يتأثر بنوع من اهتزازات أعلا درجة .

والذي يهمنا من هذه الملاحظات هو تلاقي العلم الحديث ، والعلم الالهي القديم بتعريف اصل المادة .ويهمنا ويسرنا كثيرا ، ان العلم بعد فترة عاد صاغرا يعترف بوجود روح ، (مضاد المادة) في الكون ، الشيء الذي لـه صفات متعاكسة ، ومخالفة للمادة المتعارف عليها في كوننا الذي عرفه لنا العلم بعد ان كان فلاسفة المادة في القرن الماضي ينفون وجود الروح نفيا باتا ، ويزعمون ان الروح انعكاسات المادة على المادة وهي بالتالي وهم من الاوهام وعلماء اليوم واثقون من وجود (مضاد المادة) بالرغم من انهم لم يستطيعوا رصد رؤية هذا المضاد الا في خيال (اندريه موروا) في رائعته (وازن الارواح) ، ولكنهم شاهدوا بلا شك بعضا من آثاره ، وان ثقتهم بوجود هذا المضاد لاتقل عن ثقتهم بوجود أشعة (غاما) او (الفوتون) ، او الكونتا) ، وهي جميعا نوع من الاشعة(الكهرطيسية) التي ليس لها كتلة مادية ، ولا تحمل شحنة كهربائية لاسالبة ولا موجبة ، وهي تخترق المادة بسرعة النور ، ولا ترى بالعين المجردة ، ولا غير المجردة ، الا ان موجات الاشعة التي يتراوح طولها بين خمسة أجزاء من مليار جزء من السنتيمتر كحد أقصى محكمة بطاقة تبلغ مئات الملايين الاكترون فليس يمكن قياسها بواسطة العدادات الخاصة .

ويقول يوسف مرزة في كتابه الجليل (العلوم الطبيعية في القرآن) انه قال للدكتور (بيكر يتغ) عندما كان يشاركه في تجربة حول الاثير البيولوجي من تعقيم ، ومناعة ، بمشاركة الآنسة . ج أ .

بريسلي ، اننا مؤمنون بوجود اشعة (غاما) بالرغم من خصائصها العجيبة ، التي تجعلها مستعصية على الحواس بل والافكار ايضا ، انها بنظري هي والاشعة الالهية سواء ، فلماذا نؤمن بالاولى ، ولا نؤمن بالثانية ، فأجاب الدكتور ، ان أجهزتنا تكشف لنا عن اثار اشعة غاما فلذلك نتأكد من وجودها ، واما الاشعة الالهية ، او الروحية ، فليس لدينا من عدادات ، واجهزة تكشف لنا عنها ، فقلت وقد وقع نظري على زهرة (لاتنسني) هذه الزهرة بألوانها الجميلة ، واريجها الشذي خير عداد يكشف لنا عن الاشعة الالهية ، فهنا قالت الآنسة (بريسلي) لا اشك بأن في الطبيعة كثير من العدادات الدقيقة التي تفوق عداد (جيجر موللر) دقة ، وصنعا ، تكشف لنا في كل لحظة عن الاشعاع الالهي الروحي الذي يملأ الكون .

وارى ان كل قوة مصدرها القوة الالهية ، والقوة الالهية لاترى فكل قوة لاترى ، وانما يرى آثار القوة في كل مؤثر به ، فالقوة المنبثة في هذه الكائنات الدالة عليها أثارها تتجلى على الاشياء وبالاشياء ، بحسب ما عند كل موجود من الاستعداد ، لتجليها فهي بالنور العرضي مبعث الضياء الساطع ، وبالنور الخفي ، مبعث ادراك وعلم وحياة ، وبالافلاك والشموس ، والاقمار ، والنجوم والكواكب ، مبعث جلال وعظمة ، وبالاملاك مبعث حياة مجردة ، وهكذا وبهذا ترى ان هذه القوة الالهية تعددت متنوعة بعدد انواع الموجودات، مع شدة توحدها ، التي لاتنثلم بكثرة والموجودات بأجمعها تعددت

بها مجموعه . متفاوته . فكل هويـة بمعانيها الثلاث ، التشخص ، والشخص نفسه . والوجود الخارجي . هي مظهر اثر تلك القوة ، وكل ماهية هي من حيث هي ليست واحدة وليست كثيرة ولا شيئا من المتقابلات التي تحمل عليها والا لما اجتمعت مع المقابل الآخر ، بل هي مسالمة لكل واحد من المتقابلين غير منفكة عنهما ، كل هوية بها تكون هوية . وكل ماهية بها تكون ماهية ، والا لم تكن الماهيـة الا كما هي .

ولا سعدى الحميقـه اذا قلنا ان الوجود في مجموعه وحـدة شامله . مطلقة . تمثل كلا حيا مكونا من وحدات متعددة تتجلى فيه . وتشرف عليه . روح الله . دون ان تحل في وحدة من وحداته ، ولا في مجموعها ذات خالقة مبدعة ، تكون ، وتحول ، وتنظم ، وتطور ، وتسمى بفاعليها الخالدة جميع الكائنات ، مايحس ويرى ، ومـا يدرك ولا يرى وهي ثابتة لاتتطور ، ولا تتحول .

وهذا الاشراف هو الفيض الالهي ، والفيض الالهي على الكل واحد . لا يفيض على شيء اكثر من شيء آخر ، لانه ليس اقـرب الى شيء من شيء آخر ، وانما يختلف قبول هذا الفيض باختلاف القوابل . والاستعداد كالشمس تختلف مفاعيل اشراقها باختلاف القوابل يجف الطين ، يذوب الثلج ، ينضج الثمر ، تبيض ثيـاب القصارين تسود وجوههم ينعكس نورهـا عن السطوح الصقيلـة الوجوه كالمرايا . ويسري الضوء في الاجسام الشفافة ، كالزجـاج والبلور ، ويقوي ابصار اكثر الحيوانات يضعف بصر بعضها كالبوم

والخفاش ، وبنات وردان ، يختلف التانير ، باختلاف القوابـل ، والاشراق واحـد .

اما النفوس الصافيـة عالم الاله ، النور المجرد ، فهي غير متجسدة ولا محتاجة الى الكلام في افهام بعضها لارتفاعها الى افق العالم العلوي ، وسريانها في الكواكب ، والافلاك ، العالم الذي يتراءى منه الجزء في الكل ، والكل يتراءى في الجزء ، كما تتراءى وجوه المرايا بعضها في بعض ، وكما تتراءى وجوه الجماعة المتقابلين في عين الواحد منهم، ووجه الواحد في عين الجميع فهم دائما في الانوار التي هي معدن الابرار الاخيار .

قـال ارسطاليس في كتابه (الثالوجيـا) انني ربما خلوت بنفسي ، وخلعت بدني ، وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن ، فأكون داخلا في ذاتي ، خارجا من جميع الاشياء ، فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ، ماابقى له متعجبا باهتا فأعلم اني جزء من العالم الاعلـى الفاضل الشريف .

فالاكوان كلها على تنوع اعتباراتها مجموعة في ثلاث انواع الاول نور خفي يمد الاشياء كلها بما تقوم به الاشياء ويفيض على المدارك ماتدرك به الاشياء جميعها ، فهو يدرك به ولا يدرك .

والثاني الضياء وهو جميع هذا النور المرئي العرضي المركب ، الذي ترى المرئيات بواسطته ، ويرى هو ايضا بخلاف النور الخفي فأنه يدرك به ولا يدرك .

والتي هذه الاشياء الكثيفة فانها تدرك ولا يدرك بها ، وهذا
ما يقدم من تحويل الفرة من شيء مادي الى طاقة اشعاعية ،
وكما تقدم عن الالهيين . ان الاشياء اللطيف منها والكثيف كله
نور . يكتشف بالقدرة . ويستتر بالحكمة . وعلى ما تقدم
فالوجود والنور واحد وربما اتحد العلم معهما ، لان العلم
نور . وكما ان النور . ولكن بتشيء العلم الى وجود ونور صار
من شأن كل منهما كشف المستور . والذي اختص بالوجود من
الاقسام دون العلم والنور هو انه لما عرضت له التعددات المختلفة
الاعتبارات . علما ان ثمة متعددات متفاوتة فصار الوجود من هذا
الوجه سببا لمعرفة الماهيات المتعددة ، والذي اختص به العلم
دون الوجود والنور . هو ان العلم يكشف عن الماهيات المعدومة ،
قبل ان تحصل لها الكشف الوجودي ، ويعرف كيفية قبولها للوجود
وتوابع ذلك من فناء وبقاء . وتركيب وبساطة . وغير ذلك .

والذي اختص به النور دون العلم والوجود ان
النور يكشف الاشياء بعد وجودها . وكل واحد من هؤلاء الثلاثة ،
الوجود . والعلم . والنور ، من حيث وحدته واطلاقه ، لايدرك ، ولا
يرى . ويتميز الوجود عن العلم ، ان الموجودات تعددت بالوجود ،
وتنوعت به . والعلم تعدد بمعرفة الاشياء ، وتنوع .

واما الفرق بين النور الحقيقي . أي النور المجرد الخفي الذي
لايرى . وبين الوجود المحض . فهو من جهة ان الوجود يظهر للمدارك

بقابلية المعلومات المعدومة المتعينة في علم الحق قبل ايجادها ، والنور الحقيقي لا يمكن ادراكه . الا في مظهر موجود ، ولا يغاير وجود الحق تعالى .

فبمعرفة الوجود . والعلم ، والنور ، كما مر ، وافعالها في الكونات . متعددة . ومتوحدة يثبت ان لهذه الاكوان مكون كونها على هذا النسق العجيب المدهش . وتتجلى عظمة هذا المكون ، واضحة مرئية في السموات . آفاقها وابعادها واشكالها ، وفضائها ، وشموسها واقمارها . وكواكبها . وتنظيم حركاتها ، وعجيب صنعها ، وسير الجميع في هذا الفضاء منظمة حركته ، مستقيما سيره ، مما يدعو الى الدهش والتفكير العميق . ولذلك قال سبحانه : وليتفكروا في خلق السموات والارض . وقال سبحانه سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم . ولذلك ايضا قال (ص) : تفكر ساعة خير من عبادة سبعين عاما .

وتتجلى عظمة الله سبحانه : في كوكبنا هذا ، في بحاره،وبراريه، وانهاره ولياليه ، وجباله ، وسهوله ، ودورته حول الشمس ،وحول نفسه ، وفي كل مانعرفه منه ، وما لانعرفه .

وتتجلى عظمة الله في تكوين خلاصة العوالم ، خليفة الله في ارضه (الانسان) تتجلى في عقله ، ووعيه وادراكه ، وعلمه وشعوره وحسه ، وقدرته ، سخر الكون . على ضعفه لما يشاء ، وذلل الاجواء واخترق الفضاء وحد من جبروت البحار ، وتحكم ببعيد الاقطار ،

حتى أعار المادة من عقله ما كادت تصبح به حساسة دراكه .

اجتلى هذا الخليفة بواسطة مااكتشف من الآثار المعنوية المجتبه بالمادة . مما لايجوز مطلقا ان يكون مبعثه من المادة ؛ اجتلى من خلاله ما وراء المادة . العالم الالهي الفاعل بالمادة . فتحقق عنده ماندب اليه الانبياء والمرسلون . والحكماء الالهيون .

مما تمثل هذا الخليفة . واستنار لبه ؛ فطفق يجتلي الانوار ، والاسرار الالهيه . في كل ما وقعت عليه عينه وتحدث به قلبه ؛ فانكشف له عن مجلبات . وكنوز ازلية . ثم انكشف له عن نفسه ، فشاهد في نفسه عالم قدس وصفاء . مجرد عن عالمنا هذا ، وهي بعد مرهونه في اهابها المادية مكبلة بابعاده ، مسخرة لميوله واهوائه ؛ فشاهدت هذه النفس العالم المجرد . لانها منه ، وحجبت عنه لانها لم تعمل لما يؤهلها لاطلاقه وتجرده . فاذا تمكنت من الاتصال بذاتها وكشفت عن خفاياها يبقى لها نوع من التجرد فترى اثار العوالم العلويه عالم النور المجرد في كل مادي . ولا يزال هذا الانسان كذلك حتى تتصل نفسه بالعقول والنفوس المجردة وتواجه العقل الفعال . فتنطبع بها الصور المنطبعة به من الجهة التي واجهته بها ، كمواجهة المرئيات للمرآة . فبصير من الذين لايحجبهم عن انوار الله جبل منيف . ولا حائط كثيف ؛ كان استجلاء انوار الله في اشعاع المادة المحطمة . قاده الى انه ليس شيء غير النور وبالنور الذي اجتلاه من العقل الفعال ؛ اجتلى هذه الانوار واسرارها ، او كان قوته الانسانية الالهية ؛ اذابت له المادة . فارجعتها الى اصلها نورا ،

فلم يكن في عينه شيء الا النور .

واذا اردت ان تنظر الى شيء عجيب من نعم الله على خليفته (الانسان) فانظر الى انصراف الانسان بعقله وعلمه الى اكتشاف قوى المادة . واجتلاء كوامنها ؛ فتحقق له ماأراده بهذه الاكتشافات الهائلة . آمن الانسان الذي هو انسان آمن بنفسه وصار عظيما عند ذاته عارفا بنفسه او بشيء منها ؛ فمضى لايقف به عن المجردات قمر ولا شمس . لانه بدا له من ذاته مالم يعرفه من وضعه وكيانه ، ولكن هذا الخليفة (الانسان) عندما ظن انه ادبر عن الله ، باقباله على المادة . واستغنى بها عنه ومضى متعمقا بمعرفة المادة تحير ، وتعجب ، ودهش . لانه وجد الآثار الالهية تكمن له ببطن المادة ، ظاهرة بكل اكتشافاته . بادية بكل ماقرب منه ، وبعد عنه ، وبكل ماعمي عليه ، وبكل ما ظهر له ، فكانت هذه المفاجئة الالهية بواسطة المادة ، واسرارها تحقيق قوله سبحانه ، اينما تولوا فثم وجه الله وشرح قول القائل : اللهم لا مفر منك الا اليك .

من حيث وجهت وجهي عنه اراه اليه .

واخيرا لم يبق لكل امرء شاور عقله ، وماشى فطرته ، الا الاذعان لصانع الكون ، ومهندسه ومدبره خالق الزمان والمكان ، سواء كانا مجردين ، او وجودهما عن المادة وحركتها ، فهو سبحانه موجود بكل زمان ومكان ، وهو لازماني ولا مكاني ولا زمكاني ، انه فوق الزمان والمكان ، وفوق الدهر والسرمد لان قياس المحدود النهائي على

اللانهائي الغير محدود غير ممكن علما ومنطقا ، فان نسبة قابليـة الانسـان المحدودة في جميع الحقول الى قدرة الله كنسبة واحـد الى اللانهاية . ونتيجة هذه النسبة صفر ، وانى للصفر ان يساوي اللانهاية . الله يعلم ماكان وما هو كائن وما سيكون ، ومنه ينطلق وفيه يلتقي الماضي . والحاضر والمستقبل . ومنه تنطلق واليه تعود ، وحوله تدور احداث الكون . منذ اللابداية وحتى اللانهاية وهذا هو الذي قاله الامام الغزالي كل شيء اذا اعتبرته ذاته من حيث ذاته ، فهو عدم محض ، واذا اعتبرته من حيث الوجه الذي يسري اليـه الوجود ، من الاول الحق رايته موجودا ولكن لا بذاته ، بل من الوجه الذي يلي موجده . فالموجود وجه الله فقط .

ويعرف من هذا ، ان لكل شيء وجهين ، وجها الى ذاته ، ووجها الى ربه ، فهو باعتبار وجه نفسه عدم ، وباعتبار وجـه ربـه موجود .

يقول (انشتاين) وهو أعلم علماء الارض في الكون وظواهره ، واحقهم بالكفر ، ان كان علم يدعو الى كفر ، واولاهم باتباع ما اعتاد علماء الغرب ، ومقلدوهم من الشرق من أغفالهم ذكر الله ، يقول ان الشعور الديني الذي يستشعره الباحث في الكون هو اقوى حافز على البحث العلمي ، وهو انبل حافز .

ويقول ، ان ديني هو اعجابي في تواضع ، بتلك الروح السامية التي لاحد لها ، تلك التي تتراءى في التفاصيل الصغيرة القليلة وهو

ايماني العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للافهام . ان هذا الايمان يؤلف عندي معنى الله .

ولكن وبالاسف القاتل . قد اكثر بعض شبابنا من ايراد الحجج التي المادة مقدمة على الفكر ، لان الحالة الفكرية ، انعكاس لحالته المادية تكذيبا لنظرية ديكارت (انا افكر اذن انا موجود) وقد احسن احدهم بقوله : لا الفكر وحده ولا الطبيعة وحدها ، ولكنهما مجتمعان بالمطلق معا . فهما مظهران للمطلق الذي يبدو في الطبيعة . اكثر منه فكرا ويبدو في الفكر روحا ، اكثر منه مادة ، مثل ذلك ان نقول حرارة الماء فوق المائة ، فنسمي الماء بخارا ، فاذا هبطت الى الصفر دعي ثلجا . والمطلق هو الماء والماء غير الثلج والبخار .

وعند هجل الفكر هو كل شيء ، وكل شيء فكر ، الفكر هو المبدأ . وكل ما في الكون حديث عنه وخبر ، الفكر شائع في الكون شيوع المائية الغريزة . في الدوحة العظمى .

وهجل هذا في الراي قريب من افلاطون ، وكما ترى ان هؤلاء القائمين بتعظيم الفكر والمستدين اليه الفعل ، يتكلمون عنه بالالفاظ التي يتكلم بها عن العقل الفعال والذي حملهم على الاعتقاد ، بأن المادة قبل الفكر . هو لان النظر الى الشيء هو الداعي الى التفكير به . فاذن يجب ان يكون وجود المادة قبل الفكر .

فهذه النظرة من الاغاليط ، فاذا مشينا معها بأن المرء ينظر

فيفكر تكون المادة اقدم من التفكير الذي هو إعمال الفكر فقط سواء كـان هذا التفكير قبل النظر الى المادة او بعده ، يرى المرء المادة ، فترجع الرؤية الى الفكر فيفكر اذن المادة قبل التفكير لا قبل الفكر.

فالفكر من حيث انه كائن ادراكي بنشاط معنوي غير منظور ، وهذا النور المنظور كوني اشعاعي متشيء ، ومنه النور المعكوس عن القمر من الشمس ، وبين هذين النورين رتبة ثالثة ، من الاشعـاع الذي لايرى ، تقع بين هذين النورين للجمع العملي بينهما وهـو وجود الذات الالهية ، المستبطن في مطلق الوجود ، ومتصل بـه ، ولكن استبطانه بالاشياء ليس كاستبطان بعضها بعضا ، ولا اتصاله بالاشياء كاتصال الاشياء ببعضها ، بل اتصاله بالاشياء كاتصال القوى النفسية بالاعضاء البدنية اتصال لايقدر احد على تحديده اثر من مؤثر الى مؤثر به انظر بعين عقلك تر ان الله ظاهر بأفعاله ، بأروع واجلى من نور الشمس ، لابل الشمس ونورها ، وآثارها اثر من افعاله المؤثرة ، واتفق الالهيون ان شدة ظهوره بنوره المعنوي هو الذي منع من رؤيته ، والشمس بعض مصنوعاته، يمنعك من اجتلائها شدة افراط ظهورها بنورها .

اليس من الحمق المتجاوز ، أن يجزم عالم بأن الحقائق الروحية غير موجودة ، لان المخابر المادية لم تثبت وجودها وكما حطم تحطيم الذرة أجزاء المادة ، وجزئياتها ، فأرغمت الماديين على الشك في علية المادة وثباتها مع واقعيتها ، وقوانينها المفروضة ، فان العلم الحديث سينفي الاتكال على المخابر ، في اثبات وجود الارواح لابل فعل .

أحقيق أن هذه المكونات ، أعلاها وادناها ، محسها ومعقولها ، مجرد آلة تسير بحركة ذاتية لا الى غاية ولا الى مقصد ، أحقيق ان الصدفة خلقتها ، وان الضرورة ساقتها الى غير غاية ، وما هي هذه الضرورة أحقيق ان التفاعل ، أو اهتزاز الاثير ، أو غيرهما يولد العقل والتعقل ويعطينا الادراك والتفكير أحقيق ان الروح الحساسة الدراكة ، وجودها من انعكاسات المادة على المادة نحن بحاجة لحجج تثبت لنا ان الله غير موجود وبم ، وكيف ، أكثر بألف مرة من حاجتنا لحجج تعرفنا ان الله موجود ، وهذا على الملاحدة لا علينا لاننا نحن نرى ونسمع كل شيء من سائر الاشياء ينادينا فيسمعنا ، ويكون صوته على صمته ملء آذاننا أنا مخلوق ومصنوع ، ولي خالق وصانع وجده ، جون كلوفر موتسما) هذا السؤال ؟ (هل تعتقد في وجود الله) لعلماء أمريكا جاءه الجواب من واحد وثلاثين عالما كل واحد يحمل شهادة دكتور بفن من الفنون فأكثر ، وطبعا هم علماء أمريكا وعلماء أمريكا أعلم علماء الارض وكل واحد جاء جوابه بسرد شيء من تخصيصه العلمي يعطيك به حججا ناضجة بأنه لايمكن مطلقا ان تكون المفاعيل المنظمة الوجود هذا التنظيم البديع ، لايجوز ان تكون عن طريق المصادفة ، ولا من قبل الطبيعة ويقول واحد منهم ، عمت أمريكا في السنوات الاخيرة موجة من العودة الى الدين ولكنها لم تتخط معاهد العلم ورائع قول واحد منهم (بعض العلماء يشكون في امكان الوصول الى خلق الحياة والبعض الآخر يعده مستحيلا ، ولكن اذا نجحت هذه الجهود فهل يزعزع ذلك من ايماننا بالله ، لايزعزع الا ايمان اولئك الذين لديهم ايمان سطحي ولا يعد ذلك

اكثر من خطوة جديدة في ادراك ماابدعه الخالق الاعظم ، واكثرهم يعبر عن انه بقدر ما يتعمق المرء بمعرفة الطبيعة يكون قدر ايمانه وقليل من العلوم الطبيعية يجر الى الالحاد .

وحجج هؤلاء اجمع دون حجج رسول الله على الدهرية .

اتى النبي (ص) رؤساء خمسة اديان ، يهود ، ونصارى ، وثنوية ، ودهرية ، ومشركو العرب ، فخصم الجميع ، اقبل على الدهرية فقال واتتم فما الذي دعاكم الى القول : بأن الاشياء لابدؤ لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال فقالوا : لأنا لانحكم الا بما نشاهد ، ولم نجد للاشياء حدثا ، فحكمنا بأنها لم تزل ولم نجد لها انقضاء ، ولا فناء ، فحكمنا بأنها لاتزال ، فقال : رسول الله : أفوجدتم لها قدما ، ام وجدتم لها بقاء . ابد الأبد . فان قلتم أنكم وجدتم ذلك انهضتم لانفسكم انكم لم تزالوا على هيئتكم ، وعقولكم ، بلا نهاية ، ولا تزالون كذلك ولئن قلتم هذا دفعتم العيان ، وكذبكم العالمون والذين يشاهدونكم! .

قالوا بل لم نشاهد لها قدما ولا بقاء ابد الآبد قال(ص) فلم صرتم بأن تحكموا بالحكم والبقاء دائما ، لانكم لم تشاهدوا حدوثها ، وانقضاؤها أولى من تارك التميز لها مثلكم ، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء ، لانه لم يشاهد لها قدما ولا بقاء ابد الابد أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر فقالوا نعم ، فقال : اترونهما لم يزالا ولا يزالان ، فقالوا نعم ، قال ايجوز عندكم اجتماع

الليل والنهار ، فقالوا لا فقال : فاذن منقطع احدهما عن الآخر ، فيسبق احدهما . ويكون الثاني جاريا بعده ، قالوا كذلك هو ، فقال: قد حكمتم بحدوث ماتقدم من ليل ونهار ، لم تشاهدوهما ، فلا تنكروا ان قدرته قال انقولون ماقبلكم من الليل والنهار متناه ، ام غير متناه قلتم غير متناه فقد وصل اليكم آخر بلا نهاية لاوله . وان قلتم : متناه فقد كان ولا شيء منهما قالوا نعم : قال فقلتم ان العالم قد غير محدث ، وانتم عارفون بمعنى ما اقررتم . وبعض ماجحدتموه قالوا نعم ، قال : فهذا الذي تشاهدونه من الاشياء بعضها الى بعض يفتقر ، لانه لاقوام للبعض الا بما يتصل به ، كما نرى البناء محتاجا بعض اجزائه الى بعض ، والا لم يتسق ، ولم يستحكم ، وكذلك سائر مانرى ، وقال ايضا : فاذا كان هذا المحتاج بعضه الى بعض لقوته وتمامه هو القديم ، فاخبرونى ان لو كان محدثا كيف كان يكون ، وماذا كانت تكون صفته . قال فبهتوا وعلموا انهم لايجدون للمحدث صفة يصفونه بها . الا وهي موجودة في هذا الذي زعموا انه قديم فوجموا ، وقالوا سننظر في امرنا .

ونظرية المصادفة وهي اسخف النظريات واحقرها ، اصبحت من الاسس الرياضية السليمة ، وتقدمت تقدما كبيرا حتى اصبح العلماء قادرين على التمييز بين ما يمكن ان يكون ، عن طريق المصادفة وبين ماستحيل قال العالم السويسري (تشارلزيوجين جاي) ان الفرصة لاتتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني الا بنسبة

١ الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة ، وهو رقم لا يمكن النطق به . وينبغي ان تكون كمية المادة اللازمة لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزئيا واحدا اكثر مما يتسع له كل الكون بملايين المرات الخ ...

وقد حسب العالم الانكليزي (ج.ب ليثز) الطرق التي يمكن ان تتالف بها الذرات في احد الجزيئات البسيطات من البروتينات فوجد ان عددها يبلغ الملايين ١٠[٤١] وعلى ذلك فانه من المحال عقلا ان تتالف كل هذه المصادفات لكي تبني جزئيا واحدا بروتينيا ، والبروتينات مواد كيموية عديمة الحياة حتى يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لاندري من كنهه شيئا ، وهو الله .

هذا ولم يقل احد ان المصادفة كيان شيء من لاشيء بل قالوا ان المصادفة المقابلة عن غير قصد فبعد كيان الشيئين المتصادفين حتى تكون المصادفة .

السكون والحركـــة

تاكد وهو الحق . أننا متى عرفنا الجوهر الفرد الذري ، نرى المادة المحسوسة الملموسة صارت كما متحركا من الطاقة الذرية التي لاتحس . ولا تلمس . لان العناصر اذا آلت الى أصلها مولد المـاء المركب من الهيدروجين وهو العنصر الاول ، ومن الاكسجين وهو العنصر الثاني كانت مفاد قوله سبحانه وجعلنا من الماء كـل شيء حي وهناك نرى نواة الكون الجوهرية ، أو على الاصح نواة الذرة الموجبة . وكهاربها السالبة ، تلك التي قام على طاقتها ،وسرعة حركتها . كل كائن متشييء ذو واقعية في عالم الطبيعة ، والمـادة واشياؤها بل وحركتها التي تتحول بها ، كل ذلك انما ينشأ عـن طاقة تنتجها قوة عامة لاتحصرها المادة وتلك القوة تكيف المـادة وتحولها بل وتحيلها الى موجات واشعاعات نورية بسيطة ، وغرضنا من التكلم حول الحركـة كي نبحث عنها هل لها تعلق بعالم ماوراء المـادة ، أم لا . لان الحركة هي التي يقوم عليها المكونات قال الاستاذ أحمد زكي في كتابه (مع الله في السماء) قال : الناس حينما نظروا الى الحركة والسكون ، قالوا أن الشيء الساكن يظل ساكنا الا ان تفعل

فيه قوة تحركه ، وفي هذا أصابوا ، وقالوا بداهة ان الشيء المتحرك، اذا ظل متحركا كان فيه قوة دائمة تحركه وفي هذا اخطأوا ، لان المتحرك يبقى على تحريكه ، وبنفس سرعته التي يتحرك بها ، الا ان تتدخل قوة تزيد من سرعته أو تنقصها والسرعة في المتحرك تبقى على حالها ، لولا الخشونة التي في السطح الذي يتحرك المتحرك عليه، فكلما زدت السطح صقلا زادت حركة المتحرك ، نستنتج من هذا انه لولا الاحتكاك ، لما توقف المتحرك .

تصور نحلة ، (وهي التي يديرها الاطفال بخيط) انها تدور على سن كسن المسمار ، تظل متحركة مدة ثم تسقط وسبب سقوطها احتكاكها بالارض والهواء . والارض ليست تدور على شيء يعوق من حركتها وهواؤها يدور معها ليس شيء لايتحرك حتى الشيء الذي يرى ساكنا كالحجر ، مثلا ، فالذرة به وبغيره ميدان حركة دائمة هائلة ، لاتكاد تعيها الافهام ، وعجزت عن رؤية الحركة بها من جهتين ، صغرها المتناهي ، وسرعتها المتناهية .

وباختفاء معنى الحركة الدائمة اختفى معنى القوة ، التي كانت جزءا منها ، وعلاقة الحركة بالقوة ظهرت من بعد ذلك واضحة ، ومن البديهي ، ومن التجربة كذلك ، ان القوة اذا تضاعفت ، تضاعفت السرعة ، التي تعطيها لجسم ساكن أو متحرك ، فهي تتناسب تناسبا طرديا ، والسرعة التي تحدثها تزيد عندما تزيد ، وتنقص عندما تنقص ، واذا زادت سرعة الحركة حتى تبلغ سرعة المتر المنطلق ٩٠٪

من سرعة الضوء تقلص المتر الى نصفه تقريبا . واذا انطلق بأسرع من تقلصه اكثر . واذا بلغت سرعته سرعة الضوء ، فانه يتقلص حتى لايبقى منه شيء . ولا فرق بين ان يكون هذا المتر من حديد ، او خشب او زجاج .

فكل جسم يتحرك بسرعة تساوي او تفوق سرعة النور ، فهو بالنسبة للمتر عدم لاننا كثيرا مانرى اشياء وعندما تتحرك بسرعة فائقة لانرى . ويبدو كانها نابتة لاتتحرك كالدراجة الهوائية ، ومروحة الطائرة . لكن ذلك لايعني عدم وجود كائنات ومخلوقات ، وعوالم تتحرك بمثل هذه السرعة ، والنور بذاته جسم ذري مركب غير حساس . ولا ندرك . فما الذي حركه واوجد فيه هذه السرعة، قال يوسف مرزة . ومن سرعة هذه الحركة ، ماأتى في القرآن الكريم . ان كانت الا صيحة واحدة ، فاذا هم خامدون ، وقوله : ونفخ في الصور . فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، ماينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق .

من هذا ، او اقرب منه ، ماقصه سبحانه من قصة نبيه سليمان وبلقيس ، قال : اي سليمان لاعوانه (ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) ، قال : عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك . قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي الخ ...

ويخيل الي كما تقدم ان الافاعيل كلها بالنور . وكل الحركات بالنور فسرعة هذا النور محدودة . ولكن سرعة النور المجرد لاتحد الا بالتفاوت بين رتب هذا النور . فالاتيان بالعرش قبل ارتداد الطرف فوق سرعة النور المادي . وانطلاق العرش كان بأسرع من سرعة النور ولم يتقلص ولم يفن .

وطبعا ليس هناك في عالم الاله صيحة . فالصيحة تلازم المركب . غير ان الله سبحانه اخبرنا عن اخذه اعدائه بما يتناسب معنا وبما نقدر على تصوره فننقل حكاية ماغاب عنا الى ما حضر لدينا . فهذه هي الحركة الالهية بالسرعة والابطاء فالنفخ بالصور لاعطاء الحياة والموت بحسب ارادة النافخ فعلى النافخ ان ينفخ . وعلى السراج ان ينطفىء . وعلى النار ان تشتعل فبعث الحيوة والموت من تلك الحركة .

فبهذه الحركة . وتباين فعلها بالسرعة والابطاء . الا يجب ان يكون لها محرك اول . كما قال ارسطو في سادسة مسائله بأن هذا المحرك الاول . هو الصادر الاول . لان الحركات اذا كانت كثيرة . ولكل متحرك محرك . فيجب ان يكون عدد المحركات ، على عدد المتحركات . ولو كانت المتحركات والمحركات تنسب الى الله لا على ترتيب اول وثاني . بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك .

هذا رأي ارسطو طاليس . بالحركة بأنها تكون بالتوسط من

متحرك الى محرك الى المحرك الاول ، وراي غيره ، ان حركة الله سبحانه ، في كل شيء يقتضيه الوجود ، من العقول ، والنفوس والافلاك والمولدات من المعادن والنبات والحيوانات ، والانسان على اختلاف الاشكال والصور ، والصفات في كل ما ينقسم ، ولذا قيل عنه هو المحرك لجميع الاشياء ، ولا تتحرك ذرة الا به .

وهذه الحركة التي تحرك كل متحرك هي الجوهر الكائن عن الله ، وهي اسمه الاعظم ، لان الله سبحانه كان كنزا مخفيا فاحب ان يعرف ، فجعل من الرتق فتقا ، ومن السكون حركة ، فكان العقل الفعال الذي هو اسم الله الاعظم .

فالسكون المطلق هو الحق سبحانه ، واذا كان متحركا فحركته في نوع سكون ومن عكس نظره على ذاته راى حركة عقله بالسرعة التي لاتتصور مع السكون الذي لا حركة به مطلقا وهذا لا يعني ان الله متحرك الا ان يقال ان تلك الحركة فوق هذه الحركة ، والسكون فوق هذا السكون ، كما تقدم وليس يعنون بالسكون والحركة ، هذه النقلة من مكان واللبث في مكان ، ولا بالحركة ، التغير والاستحالة وبالسكون الجوهر والدوام وانما عنوا بالحركة والسكون في العقل والنفس الفعل والانفعال ، وذلك ان العقل لما كان موجودا كاملا بالفعل قالوا هو ساكن ، واحد مستغن عن حركة تصير بها فاعلا ، والنفس لما كانت ناقصة متوجهة الى الكمال ، قالوا هي متحركة طالبة درجة العقل .

وقالوا الوجود باسره صورة كلية تتركب من عدة عمليات ، تتم بفعل باطني ثابت . ذي نشاط هو المقوم الحقيقي لعواملها المؤثرة المتكاملة ورائها . ذلك الفعل هو الفاعلية الاصلية المطلقة لنشاط خصائص واجب الوجود الذي لايتم شيء الا وهو أثر بارز لحياته سبحانه . وعلمه . وارادته . وقدرته ؛ فالمحدثات الامكانية سائرها ازاء ذلك عبارة عن مجموعة صور . وكيفيات ، واوضاع ، يسميها الناس طبيعة . تنشأ عن مجموعة حالات يسمونها القوى الطبيعية ، ترجع في مجموع حركاتها وسرعتها ، والطاقة الناشئة عنها الى القوة الطبيعية ضرورة وترجع القوة الطبيعية الى القدرة الالهية ، التي هي نفس الذات الاول (الله) الذي عنه صدر الامر في شؤون السموات والارض . وما بينهما . ثم يعود اليه .

فرأى ارسطو طاليس ان التحريك بالترتيب يعني بالفيض عنه سبحانه على الجوهر الاول ثم منه على النفس الكلية ثم منها على الهيولى . وهكذا . وهو قول كثير من الحكماء الالهيين ، بأن عالم الغيب هو الفاعل في عالم الشهادة كما قال الامام علي عن عالم الغيب هي : صور بريئة من المواد ... القى في هويتها مثاله واصدر عنها فعاله . وعلى هذا خطأ ما تقدم من قول الاستاذ (احمد زكي) أن المتحرك يظل متحركا مالم تعترضه قوة للتحريك او للتسكين وقول غير ارسطو طاليس ان صفات الله الاربعة الحياة ، والعلم ، والارادة والقدرة هي المؤثرة الفاعلة في سائر المكونات ، ولا تتحرك ذرة في الكون الا بها وهي سبب نطق المؤمن ، والكافر وسبب تحريك النبات

والحيوان والانسان ،وصفات الله على قول كثير من الحكماء والفلاسفة هي العقل الفعال الكائن عنه ، والله سبحانه منزه عن الاسماء والصفات .

فهذه الآراء ، وان تباينت ألفاظها فمراميها واحدة والجمع بينها ، كالجمع بين الآيات الكتابية المختلفة بالإماتة قال سبحانه ، (الله يتوفى الانفس حين موتها) ، وقال : (قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم) ، وفي بعض الآيات (تتوفيهم الملائكة) وفي بعضها (توفته رسلنا) ، فاختلاف هذه الآيات بالاخبار عن الموت باعتبار اختلاف المباشر بالفعل واختلاف مراتب الفعل ، مع صحة الانحصار ، في قوله تعالى ، الله يتوفى الانفس حين موتها ، فنفس يقبضها الله بلا واسطة ، ونفس يقبضها ملك الموت ونفس تقبضها الملائكة والرسل ، والكل مقبوض الله ، كما ورد اذا أراد الله احداث امر على يد ولي من أوليائه أظهر الفعل على يده وكان هو الفاعل لاغيره وكالنفس الانسانية فانها هي حقيقة النظر بالعين ، والسمع بالاذن ، والعمل باليد والسعي بالرجل ، فالفاعل النفس والفاعل المباشر هو أحد اعضاء البدن المستمد من النفس .

فنسبته تعالى الى مخلوقاته لاتختلف بالمعية ، واللامعية ، فيكون مع بعض بالفعل ، ومع بعض بالقوة فيتغير ذاته من جهتي فعل وقوة ، وتتغير صفاته بحسب تغير المتجددات والمتعاقبات ، وتعالى الله ، فذاته سبحانه فعلية صرفة ، ونسبتها الى الجميع

نسبه واحدة ومعيه قيومية . وفقر الاشياء وفقدها ونقصها بالقياس الى ذواتها . ونوابل ذواتها الى ذاته سبحانه والزمان والزمانيات ؛ بآزالها وآبادها كائن واحد عنده ؛ جف القلم بما هو كائن ، والموجودات كلها شاهدتها . وغيبياتها كموجود واحد في الفيض عنه . ماخلقكم ولا بعثكم . الا كنفس واحدة والدثور والتجدد والنقص والزيادة في سائر الاشياء للاشياء فقط ؛ كما شرح بعض اهل العلم قوله عز وجل كل يوم هو في شان فقال انها شؤون يبديها لاشؤون يبتديها .

وربما يقول بعضهم بانه اذا كان هذا هو القول بالفعل فالحركات في سائر الحيوانات والحركات للمعاصي كلها فعل الله ؛ ولقد قالوا هذا من قبل بتعابير جريئة على الله ، ولكن عندما سئل العالم عن هذه الاشياء المستقذرة قال : ان الشمس تطلع على الجيف . وتظل النطف . ايضرها ذلك ؛ قال : السائل لا ، قال وكذلك هو : وقال : عن هذه المستقذرات ؛ ان الله لايشاكلها ولا يضادها يعني لايشاكلها فيمزج بها او تمزج به ولا يضادها فتضره او يضرها واحسن مثل لذلك . الشمس والزجاجات الملونات يصدر نور الشمس عن كل واحدة من الزجاجات بلونها ونور الشمس بذاته ما اختلف واختلاف الافعال الى خير وشر باختلاف الاستعداد والقبول .

الـدثور والتجـدد

ان كل شيء من الاشياء واقع دائما تحت تصرف الدثور والتجدد له في كل آن فناء في نفسه وبقاء من قبل موجده ، وحاله في نفسه لموجده حال شعاع الشمس بالنسبة الى الشمس فان الشعاع الواقع على السطح لايبقاء له بنفسه آنين ، لانه اذا وقع شعاع من رورنة ينعدم مع سد الروزنة ، ولكن هذا التجدد المستمر خفي عن العيون ، وتراه العقول ، وهو من أعمال المشيئة الالهية الحكيمة المعنوية .

العالم باجمعه تدريجي الوجود ، متبدل الكيان دائما ، ووجوده بكن الامرية ، (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) ، وليس كلامه سبحانه صوت يقرع ، لاذن تسمع .

ان كيان هذا الوجود لايجوز ان يكون من لاشيء ، لان الله لو خلق الاشياء من لاشيء كان خلقها من عدم ولو خلقها من العدم ، لكان خلقها من الجهل ، ولو خلقها من الجهل ، لكان هو مجهولا ، لانه خلق الاشياء من الجهل ، واذا قالوا : خلق الله الاشياء من العدم ،

فانما قصدوا انه كون الاشياء بعد ان لم تكن .

فثبت ان وجود الاشياء من شيء ، فيكون هذا الشيء ولا بد قدرة الله التي هي ابداعه . فيكون ايجاد الاشياء عن قدرة الله ، وبقدرة الله .

صفات الله سبحانه هي المؤثرة في هذا الوجود ، وهي العاملة به بما هو عليه . من التحول والتطور ، والتجدد ، والتبدل ، بلا حلول طرئي . ولا اتحاد ذاتي ولا تحيز مكاني ، ولو خلق الله الاشياء المادية من غير قدرته . لكان هذا الشيء المخلوقة منه إما مادة معنوية لطيفة او مادة كثيفة والمادة الكثيفة اذا انطلقت من كثافتها انتهت الى طاقة . والطاقة مظهر للقوة التي هي اثر من آثار القدرة الالهية . بل وجه من وجوه تصرفها ، والمادة المعنوية لابد ان يكون كيانها عن كيان معنوي او هي العلة المعنوية لكل معلول معنوي فوجود الاشياء اذن بالقدرة كما ذكر اولا .

أحب الله سبحانه ان يعرف ، فخلق الخلق لكي يعرف ، كما تقدم فابتدع الابداع الاول من ذاته لان ذاته القدرة ، وكان عنه التكوين بالتسلسل لان الله سبحانه أودع فيه ، بالقوة ، جميع ما كان وما سيكون الى مالا نهاية ، وهذه هي كيفية الابداع المتعالي عن الكيفية عن طريق القدرة ، وافيضت الكوائن عن هذا الابداع ، على النفس الكلية بالفعل .

ان قدرة الله سبحانه ، وارادته تظهران في كل شيء ، فمثلا

نمو الانسان ، والشجرة ، والحيوان ، ونمو كل ذي نمو ، مظهر لقدرة الله وارادته ، وتدرج كل شيء نحو الفناء ، بعد بلوغه رتبة كماله او قبلها ، مظهر لقوة الله وارادته ، ايضاوعلمه بالاشياءوتقديره مايكون لها من تجدد ، وما يكون عليها من دثور ، علمه بها قبل ايجاده اياها ، فانه سبحانه يسوق زمن فعل كل من التجدد ، والدثور الى وقته الذي قدر به اظهار أحدهما ، فيعطي الاشياء التي اراد بها اظهار فعل التجدد ، والدثور ، التقدير الذي قدره للعمل بها بتفصيل ذلك الاعطاء للاشياء ، واوقات الاشياء ، تجددا ، ودثورا ، فيما لايتناهى تفصيلا غير متناه والكل كما ترى مظهر لقدرة الله ، ، فاذا هبت الريح ، فعلى السراج ان ينطفىء ، وعلى النار ان تشتعل ، وهذا معنى قوله سبحانه : انه يبدىء ويعيد ، اى أن الله سبحانه يبدىء الاشياء خلقا وتكوينا ، ثم تدثر عن هيئاتها فيعيدها سبحانه بهيئات اخرى ، الى هيئات اخرى خلقا وفناء ، او تجددا ودثورا ، وهو أحد معاني قوله سبحانه : (يمحو الله مايشاء ، ويثبت وعنده ام الكتاب) ، واحد معاني قوله : (كل يوم هو في شأن) ، اي ان مفاعيله سبحانه بالاشياء ذات شؤون ، وكل يوم بالنسبة للاشياء هو في شأن لا بالنسبة لذات الله سبحانه ، فهو لايتشأن ولو نظرنا مستبصرين لوجدنا ، أن الاشياء كلها شؤنه بقدرته الفاعلة ، بالاشياء ولا يشغله شأن من سائر الشؤون في سائر الاشياء المتباينة الشؤون ، عن شأن آخر .

فالفيض الالهي على الاشياء ذوات الشؤون فيض واحد ، وعلى

ترتيب واحد . ولكن الاشياء ليس على ترتيب واحد فيكون قبولها الفيض على ترتيب واحد ولكنه يختلف باختلاف القوابل . كما يختلف قبول الاشياء لنور الشمس . واختلاف تاثيره بالاشياء من قبل الاشياء ، فاذا اشرقت الشمس ضاء الهواء . وسخن وجه الارض . يجف الطين ، يذوب الثلج . ينضج الثمر . تبيض ثياب القصارين ، تسود وجوههم ، ينعكس عن السطوح الصقيلة . ينفذ في الاجسام الشفافة ، يقوى بصر اكثر الحيوانات . ويضعف بصر بعضها . يختلف التاثير باختلاف القوابل . والاشراق واحد .

القــرآن الكريــم

قد يتعجب كل من قرأ القرآن لأول وهلة كيف تجرا القرآن لوصف نفسه بمثل قوله : (هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن ام الكتاب ، واخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ؛ وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا ، وما يتذكر الا أولوالالباب) ، وقوله : (قل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

ويتعجب كل من قرأ التاريخ لتحديه العرب ان يأتوا بمثله ، لا بل بعشر سور من مثله ، لا بل بسورة واحدة ولم يتجاسروا على التعرض له ، يتعجب المطالع من ذلك لانه لم يعهده من كتاب ، لامن الكتب الالهامية ، ولا من غيرها .

قال عنه الوليد المخزومي : (ان اعلاه مثمر ، واسفله مغدق ، وانه ليعلو ، ولا يعلى عليه) ، وقال ابو العلاء بعد ان وصفه متعجبا :

[illegible] ... قال [illegible] ... منه لتعترض في أفصح كلمه
[illegible] ... فيكون كالشهاب المتلألىء في جنح غسق ،
[illegible] ... في حضوب ذات نسق فسبارئه الله احسن الخالقين ،
[illegible] ... من سجع العرب ، وحكمهم وشعرائهم ، مما لا يتسع
[illegible] ... له .

[illegible] ... من سجع العرب من كل ملة كثير وكثير ، مثل
[illegible] ... ولا مزيد ، وغيرهم وغيرهم وما
[illegible] ... وسعة قرائته ، وما اتى من
[illegible] ... ومن تعظيم القرآن نفسه ،
[illegible] ... فيه هل هو مخلوق ام خالق ؛
[illegible] ... بقوله ، وقال قوم بقدمه ، وقال قوم ؛ خلق
[illegible] ... ولا يجوز ان ينتقل ، وما نقرؤه حكاية
[illegible] ... وقال قوم يخلق الله عند القرائة كلاما ، فالذي
[illegible] ... ليس بكلام الله ، وقال قوم اذا قرىء فهو عرض ،
[illegible] ... جسم ، وتقول المشبهة ، ان الحروف والاصوات ،
[illegible] ... قديمة ازلية ولا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة
ولكن اكثر العلماء الالهيين ، قالوا ان كلام الله سبحانه تعبيره عن
[illegible] ... وهو رسله ورسالاته .

وكم من علماء حبسوا واهينوا ليقولوا بان القرآن مخلوق ؛
فلم يفعلوا ، فالقرآن عندهم كلام الخالق ، لامخلوق ولا خالق ؛

وبعضهم أرادوا أن يبين لفظة الخالق الذي هي الفاعل ، وبين لفظة المخلوق الذي هي المفعول لفظة الخلق التي هي مصدر خلق خلقا ، ولا بد من أن يكون مابين كل مفعول وفاعل فعل ، مثل كاتب ومكتوب سمها الكتابة . قارىء ومقروء بينهما القراءة ، وهكذا تكلموا عن الجوهر الاول الكائن عن الله بانه لا واجب ولا ممكن لا واجب كمبدعه ، ولا ممكن كالممكنات . لان الواجب هو الكائن لذاته بذاته وهو الله سبحانه . والممكن هو الذي امكن ايجاده ، فكان بعد ان لم يكن ، ولذا سموا هذا الجوهر الاول الكائن عن الله فعل الله ، لانه لا فاعل كمعناه ومكونه ولا مفعول كالمفاعيل . فهو الاداة بين الفاعل (الله) وبين المفاعيل . وقال قوم : وهو الذين يعرفون التكوين المجرد بان القرآن كلام الله سبحانه . وليس كلامه سبحانه صوت يقرع لاذن تسمع ، ولكنه ظهر اول ماظهر في عالم الاطلاق ظهر مطلقا غير متعين بنوع من التعينات الامكانية . وغير مقيد بحد من حدود المهيات ، وبهذا الاطلاق سمي بنفس الرحمن ، وقد يتصف بجميع التعينات ، ولا يتقيد بشرط من شروطها . ولا بحد من حدودها . وذلك بحسب تنزله عن مقام الاطلاق رتبة فرتبة ، الى مقام الحروف والاصوات ، لئلا تطيق سماعه العوالم الامكانية المحسوسة .

والكلمة ، غير مختصة بالحروف المركبة ، الحاصلة من تقاطيع الهواء التنفسي ، مع مخارج الحروف ، موضوعة لمعنى من المعاني بل كل مادل على غيره فهو كلمة ، فعيسى كلمة الله ، (كلمته القاها الى مريم) (كن) هي الحقيقة المحمدية وكلمات آدم هي الاسماء

التي علمها الله لآدم ، وبها حق سجود الملائكة له .

وهذه الحروف والكلمات ، هي التي كتبها الله بيده بواسطة القلم باللوح المحفوظ ، وهي كل ماكان ويكون وهذا القلم هو المذكور بقولـه الله ، (ن . والقلم ومـا يسطرون) ، وبقوله سبحانـه ، (علم بالقلم) ، وهو الجوهر الكائن عنه وهو الذي افاض عليـه عندما كونه بالفعل جميع ما كان وما يكون ، وهذا اللوح الذي هو النفس الكلية ، التي كانت عن العقل الكلي ، عليها افاض الجوهر الاول بالفعل ، ما افيض عليه من قبل معناه بالقوة ، فكانت المكونات ولا محل للتفصيل يقول الاستاذ يوسف مرزة في كتابه (العلوم الطبيعية في القرآن) ، قال : من السور القرآنية ، مايحمل اسمـاء بعض المواضيع الفيزيائية ، والفلكية ، والاحداث الكونية ، مثـل سورة النور ، والرعد ، والدخان ، الى ان عدد ثمانية عشر سورة ومنها مايحمل اسماء شخصيات تاريخية ، واحداث تاريخية .

وكثرت مؤلفات العلماء عن معطيات القرآن العلمية في هذا العصر ، مثل كتاب (القرآن والعلم) خمسـة اجزاء لعالم الرياضيات العراقي (احمـد امين) ، (القرآن والعلوم العصريـة) ، للشيخ طنطاوي جوهر ، (الاسلام والخدمة الاجتماعية) للـدكتور فؤاد عبد الله نويرة ، (الفلسفة التربوية في القرآن) ، للدكتور فاضـل الجمالي ، وكثير من علماء الغرب من تكلم عن عظمة القرآن ، منهم (وليم موير) ، قال : جميع حجج القرآن طبيعية ، ودالة على عناية

ومنهم (ادوارد كيوجا) قال : ان القرآن ليتضمن بين دفتيه كل مانحتاج اليه الروح الانسانية ، في ارتقائها وكمالها السموي . ومنهم (دفيدبود) قال : القرآن دستور اجتماعي ، مدني تجاري . حربي . قضائي . وهو فوق ذلك كله قانون سماوي عظيم .

ومنهم (ريتورت) قال : يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والعلم والفلسفه . والرياضيات . التي انعشت اوربا في القرن العاشر مستمده من القرآن .

ومنهم (غوستاف لوبون) قال : ان القرآن لم ينشر الا بالاقناع لا بالقوة . فاستطاع بذلك ان يجذب اليه الشعوب ، وتدين به تلك الشعوب .

ومنهم (الدكتور جرنيه) ، قال : تتبعت كل الآيات القرآنية ، التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية ، والصحية ، والطبية التي درستها من صغري ، وفهمتها جيدا ، فوجدتها منطبقة كل الانطباق . مع معارفنا الحديثة فاسلمت لاني تيقنت ان محمدا اتى بالحق الصريح من قبل الف سنة من غير ان يكون مدرس من البشر .

ومنهم (مراشي) قال : من يتأمل آي القرآن ، يجد ان اساس الاسلام التوحيد ، وتطبيه التآخي ، وتحسين شؤون العالم تدريجيا بواسطة العلم ، فهذه هي الاسباب الحقيقية لظهور الاسلام ، ومنهم

(ربتونبورث) قال : يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية ، والفلك ، والفلسفة ، مقتبسة من القرآن ، فجميع العلماء مدينون له .

ومنهم (بيكتول) قال : القرآن ، هو الذي دفع العرب لفتح العالم ، ومكنهم من انشاء امبراطورية فاقت امبراطوريات الاسكندر الكبير ، والامبراطورية الرومانية سعة ، وقوة ، وعمرانا ، وحضارة ودواما .

ومنهم (أستودرات) قال : هناك أدلة وفيرة ، وكافية ، تقطع بانه لم يدخل على القرآن أي تحريف ويعتقد المسلمون ان محمدا لايتكلم الى الناس عن طريق القرآن ولكن هو الذي يكلمهم ، ومنهم (القس هويري) قال : كثيرا مانتسائل لم يكون لكتاب مثل هذا الاسلوب الفريد ، تأثير على الملايين في العالم الاسلامي .

ومنهم (غوته) قال : اذا اتجهنا الى القرآن ، نفرنا منه في البداية ، ولكن سرعان مايذهلنا ، ثم يجبرنا على تقديره في النهاية ، اما اسلوبه وهدفه فعظيم ورهيب ، وسام ، ولذا سيظل هذا الكتاب ذا تأثير فعال ، على مدى الاجيال .

ومنهم (غروبنادم) قال : يريد القرآن السعادة للمؤمنين ، ولم يتبع الاسلام قط الغرب في تغيير عرض السلوك في سلبية المثل الاعلى للسعادة الى الايجابية في السعي وراء السعادة (وقال غوستاف لوبون) أيضا ان القرآن كتاب سماوي .

ومنهم (السير وليم ميور) قال : ان القرآن ممتلىء من الادلة، على الكائنات المحسوسة ، والدلائل المعقولة على وجود الله تعالى ، وانه الملك القدوس ، وانه سيجزي المرء على عمله ، ان خيرا فخيرا ، وان شرا فشرا ، وان اتباع الفضائل واجتناب الرزائل ، فرض على العالمين . وان الواجب على كل مكلف ، ان يعبد الله وهي علة سعادته .

ومنهم (سنابس) قال : ان القرآن هو القانون العام ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، فهو صالح لكل زمان ، فلو تمسك به المسلمون حقا ، وعملوا بموجب تعاليمه ، واحكامه ، لاصبحوا سادة الامم ، كما كانوا من قبل .

ومنهم (جيبون) قال : ان القرآن المجيد ، هو الدستور العام للعالم كافة ، هو نظام الكون في المعاش والمعاد ، وبه النجوة الابدية، وحفظ الصحة البدنية ، والمصالح العامة والشخصية ، وما يترتب من الفضائل الادبية ، والاجراءات الجزائية الدنيوية .

القرآن والعلوم الحديثة

كثير من العلماء من وجد في القرآن الكريم ، جميع العلوم العصرية كالفيزياء مثل قوله سبحانه : هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينشىء السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الى كثير من مثل هذه الآية الشريفة .

ثم يجدون به ازدواجية المادة ، ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين .

ثم يجدون به فناء المادة (وإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ، قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) ثم التسجيل الكهرطيسي ، (اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا ايديهم ، وتشهد ارجلهم ، بما كانوا يكسبون ، وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ، اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) .

ثم النقل البعيد ، والذبذبات الصوتية ، (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ، واني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب انا أتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) الخ ...

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) .

ثم التلفزة ، والانفجارات النووية ، والكيمياء ، طبقات الارض ، المناخيات ، الضغط الجوي ، المائيات ، الجغرافيا ، النبات ، الزراعة ، الاحياء ، التطور ، الحياة ، الموت ، لغة الحيوان ، الاعداد البسيطة ، الاعداد المركبة ، الكسور التناسب ، وحدة القياس ، النسبية ، الذرة .

ومن أبرز هذه الامور في القرآن فكرة الذرة ، وهذه الفكرة قديمة جدا ، من ايام الفيلسوف الصيدوني (موخوس) فهو اول من وضعها ، ويعتبر العالم الفينيقي الصوري (أمورفيس) من واضعي النظرية الذرية .

فانه تحدث عنها من سنة ٩٥٠ قبل الميلاد ، ومرت هذه النظرية بفلاسفة اليونان ، وأسدل عليها الستار حتى كان الاسلام فاحيا فلاسفته فكرة الذرة ، كالرازي ، والكندي ، وجابر بن حيان الازدي ، وغيرهم ، احيوها تحت اسم الجوهر الفرد ثم تجددت مرة اخرى على ايدي الكيميائيين ، انكليز ، وفرنسيين ، وايطاليين، ولكن الجميع قالوا باستحالة تجزئة الذرة حتى تم تحطيمها في اوائل هذا القرن في المختبرات العلمية الكبرى ، الا ان القرآن وحده هو الذي عرف ان هناك اصغر من الذرة بقوله سبحانه في سورة يونس وما يعزب عن علم ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر ، الا في كتاب مبين ، ان الله لايظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .

ولعلنا نتيقن بأن القرآن انبأ عن هذا وغيره ، اذا علمنا ان اوزان الذرات اليوم بوحدات خاصة تعرف باسم وحدة الكتلة الذرية ، وتعتبر ذرة (الهيدروجين) وحدة القياس ، ويبلغ وزنها ٦٦ر١ جزءا من مليون مليار مليار جزءا من الغرام ، وكثافة نواة الذرة تبلغ مائة مليون طن لكل سنتيمتر مكعب واحد .

ومن المؤكد الذي لايحوم حوله شك الا مكابرة او بلاهة ؛ ان القرآن عرف هذا كله باعتبار ماتى عن جابر بن حيان الازدي . تلميذ الامام جعفر . الذي كان يقول محال ان يكون بكلامه خطا لانه اخذه عن معصوم . قال : جابر لامندوحة لنا من افتراض جوهر ليكون هو نواة التكوين . فيكون هذا الجوهر هو بمثابة طبيعةخاصة خامسة تضاف الى الطبائع الاربع فهذا الجوهر ؛ هو القابل لكل شيء . وهو الذي في كل شيء ، ومنه كل شيء ، واليه يعود كل شيء . كما خلقه بارئه تعالى . جعله في كل ، وكل راجع اليه ، وهذا الجوهر قابل للتشكل على اي صورة ، فيه كل شيء ، ومنه كل شيء يتركب . واليه ينحل كل شيء فلئن اختلف الحيوان ، والنبات . والجماد في خصائص تميزها عن بعضها ، فانها كلها مشتركة في جوهر واحد ، يدرك بالعقل لا بالحس ، فليس يمكن لاحد لمسه ، ولا اذا مسه يجد له لمسا ، و لايقدر احد ، ان يأخذ منه شيئا بيده ، وهذا الجوهر من شأنه حمل الصفات الاولى للحرارة والرطوبة والبرودة ، واليبوسة التي هي تجريدات ،وليست اجساما ، الا انها ذوات وزن ، والجوهر جسم ، وذو وزن ، فاذا قلنا عن الطبائع الاولية الحرارة والرطوبة ، والبرودة ، واليبوسة ، انها توجد ، فماذاك الا ان كلا منها لايوجد منفردا ولا يرى منفردا واذا حسبنا انه لاوزن له ، فذلك للطافته ودقته ، فقولنا لايرى ،ولا يوجد ، ولا وزن له ، انما هو حد اللاشيء ، وطبعا هذا وغيره اخذه جابر بن حيان عن تعاليم الامام جعفر ، ويؤكده ماتى بأدعية الامام زين العابدين سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر سبحانك تعلموزن

[illegible] سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء سبحانك تعلم [illegible]

[illegible] الاستاذ بجامعة بيويورك ؛ في كتابه (النزاع [illegible] يقول : تحقق العلماء المسلمون من ان الاسلوب [illegible] لا يؤدي الى التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة [illegible] معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ، ومن هنا كان [illegible] الاسلوب التجريبي ؛ والدستور العملي الحسي، [illegible] هذه الحركة العلمية ، تظهر جلية ، في التقدم الباهر الذي [illegible] في عصرهم ، واننا لندهش حينما نرى في مؤلفاتهم [illegible] ، ماكنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر ومن ذلك [illegible] مذهب النشوء والارتقاء ، للكائنات العضوية ، الذي يعتبر مذهبا [illegible] ، كان يدرس في مدارسهم وقد ذهبوا فيه الى ابعد مما [illegible] اليه وذلك بتطبيقه على الجوامد ، والمعادن ، وقد استخدموا [illegible] في الطب . ووصلوا في علم الكيمياء الى انهم عرفوا [illegible] قوانين سقوط الاجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم [illegible] . ووصلوا في نظريات الضوء والابصار الى ان غيروا الرأي [illegible] القائل بأن الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى [illegible] المرئي ، وقالوا بالعكس ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس [illegible] واكتسارها ، وقد اكتشف الحسن بن الهيثم الشكل المنحني، [illegible] يأخذه الشعاع في سيره في الجو ، واثبت بذلك اننا نرى القمر [illegible] قبل ان يظهرا حقيقة في الافق وكذلك نراهما في المغرب

بعد ان يغيبا بقليل مع انهم قالوا ان الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في الجو قالوا انه من نظريات انشتاين، وبنظرنا ان هذه المعارف كلها وليد القرآن والحديث .

ومن العلماء الكبار المعاصرين الذين اثبتوا ان العلوم الحديثة موجودة في القرآن ، منهم مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، والكواكبي ، ومحمد بخيت ، وفريد وجدي ، والفلاييني ، وغيرهم ولم يلقوا نظراتهم اعتباطا بل استدلوا بصادق نظراتهم بنحو مما تقدم من الآيات ، وبنحو من الاحاديث ، مثل ماورد عن ابن عباس في القرآن معان سوف يفسرها الزمن ، وعن الامام جعفر ، ان في القرآن تأويلا ، منه ما قد جاء ، ومنه لم يجيء ، في صحيح البخاري بوشك ان ينحسر الفرات عن كنز من ذهب ، وفيه ايضا ، سيتقارب الزمن وينقص العمل ، وفي مسند الامام احمد ، تتقارب الاسواق وتتقارب الازمان ، وفيه لاتقوم الساعة حتى تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله وفيه ، سيرى الناس امورا يتناقم شانها في نفوسهم يتسائلون بينهم ، هل كان النبي ذكر ذلك ، ومثل هذا كثير وفيه الدلالات القطعيات ، على ان النبي (ص) كان يعلم بعلم ربه ماسيكون.

القرآن وغـزو الفضـاء

ورأى العلماء في القرآن ، الانباء عن غزو الفضاء ، وما سيكون باختراقه من صعاب ، في عصر لم يكن به شيء من الآليات الحديثة ، من سائر أنواعها ، لاماخرات بحار ، ولا غواصات ولا ماخرات فضاء ،

ولا صواريخ قال سبحانه في سورة الرحمن (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ، ونحاس فلا تنتصران) ، وقال في سورة فصلت (سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق) وفي سورة الحجر (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون) .

الا ترى ان الله سبحانه يقول : ان الجن والانس ، سيحاولون ان يتجاوزوا آفاقهم الى عوالم اخرى ولا يكون وصولهم الى بغيتهم الا عن طريق العلم فحسب ، وهذا ما حدث فعلا فعن طريق العلم درس الانسان شيئا من أقطار السموات والارض ، وعرف النجوم والكواكب ودرس أحوالها ، وسجل حركاتها ، وتابعها في أفلاكها ، وقدر بعدها بالسنين الضوئية واستطاع بواسطة المجهر ، ان يكبر الاجسام الى مايقرب من ثلثين الف ضعف وقد اصبح الآن على ماسمعت مائة وخمسة وعشرين الف ضعفا وبواسطة الاقمار والسفن الصناعية صار الى الفضاء الخارجي ونتيجة للارصاد المسجلة بواسطة الاجهزة الدقيقة ، مثل موازين الحرارة ، والضغط ، والجاذبية والمغنطيسية ، وشدة الطاقة الشمسية ، بهذا وغيره وجد العلماء ان الفضاء الخارجي مشحون بقوى وطاقات هائلة ، من الذرات المؤينة ، المعروفة علميا باسم (البلازما) ، وكشف عن حزام هائل من الاشعاعات الخطيرة (شواظ من نار ونحاس) يحيط

بالكرة الارضية . على طبقتين ، وعرف علميا باسم (حزام فان الني
وهذه الاشعاعات تتألف من (الالكترونات) وبوزيترونات) مشحونة
بحرارة سريعة هائلة . بالاضافة الى اشعاعات (غاما) ، والاشعة
الكونية التي تخترق كل جسم مهما كانت سماكته ، وطبيعته ،ووجد
العلماء حرسا شديدا وشبها . أي ملايين الملايين من الشهب والنيازك
تتطاير في الفضاء . كأنها الرصاص والقنابل المتفجرة .

ظاهريا لا يكون ، ما يستحيل الوصول الى القمر ، ولا الى غيره
من الكواكب . لكنه يكون لا يكون الوصول الا بسلطان ، وهذا
السلطان هو هذا الجو . الذي دلل هذه العقاب كلها .

والواقع الآن من يكذب الصعود على القمر والقول انه سحر ،
هو ما حكاه سبحانه . ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا . بل نحن قوم مسحورون) .

لاتتحرك ذرة الا بالحركة الاولى ٨٣

المقالــة الخامسة

الدثور والتجــدد

توقيت زمن الفعل من دثور وتجدد وهو قوله سبحانه كل يوم هو في شـــأن ٩١

المقــالة السادسة

تباين العلمـــاء باعظـــام القرآن ٩٤
الجوهر الكائن عن الله لا فاعل ولا مفعول ٩٥
الحـــروف والكلمات ٩٦
بعض كلام علمـــاء الغرب عن القرآن ٩٨
القرآن والعلـــوم الحديثـــة ٩٩
الـــذرة والقـــرآن ١٠١
الامام زين العابدين بوزن الاشياء اللطيفة كالحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والنور والهواء والظلمة ١٠٢
(دريبر) وعلماء العرب الاقدمين ١٠٣
القرآن وغزو الفضـــاء ١٠٤
النظرية النسبية والقرآن ١٠٧
الزمـــان والمكـــان ١١٠

ان انشتاين يعلق عدم وجود الزمان المطلق على تحديد سرعة النور المحددة ٣٠٠٫٠٠٠ كم في الثانية ، وليست سرعة النور لحظية اي تعمر الكون دفعة واحدة ، فيكون الزمان مطلقا ، فلذلك كان الزمان نسبيا ؛ لان النور بنقله الحادث من مكان لآخر يستغرق وقتا ؛ فلكل عالم زمانه المحلي الخاص به والكون دائب الحركة ، فالنجوم ، والسدم ، والمجرات لاتعرف السكون ، وحركاتها لايمكن وصفها الا بنسبة بعضها لبعض ، اذ ليس في الفضاء اتجاه اولى من اتجاه ، ولا حد اولى من حد وليس فيه نجم كبير ونجم صغير ، ونجم سريع ، ونجم بطيء ، ونجم عال ، ونجم واطء ، بل فيه نجم اكبر من نجم ، ونجم اعلا من نجم ونجم اصغر من نجم ، والمكان هو نظام علاقة الاشياء بعضها من بعض ، فاذا لم يكن فيه شيء لم يكن شيئا فكما ان المكان ليس غير نظام الاشياء المادية فكذلك الزمان ليس هو غير نظام الحوادث .

فالنظرية النسبية على ماقاله الاستاذ يوسف مرؤة ، تعتبر جزءا من تفسير القرآن العام للكون ، وهناك حقائق فيزيائية قد لاتستطيع النظرية النسبية تفسيرها في حين ان القرآن قد اوجد لها سلفا التفسير الصحيح ، وتتضح النظرية النسبية ، بقول الله سبحانه (يستعجلونك بالعذاب ، ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ، وقوله : (يدبر الامر من السماء الى الارض ، ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون) ، وقوله : (تعرج اليه الملائكة والروح في يوم كان

مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلا ، انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) ، وقوله : (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون ، بينهم قد خسر الذين كذبوا ، بلقاء الله وما كانوا مهتدين) ، ففي هذه الآيات ، اثبات السرعة الفائقة في العالم الالهي ، الذي تحصل تأثيراته في العالم الحسي ، فما يدركه الانسان من الحقيقةالتي تحيط به محدود بسبب عجز جهاز الابصار عنده ، ولو ان عينه اكثر حساسية ، فتدرك مثلا موجات الاشعة السينية لبدت له الدنيا على غير مايراها الآن ، وما دامت العين لاترى الا بواسطة انعكاس شعاع النور عن الجسم المتحرك الى العين ، فهذا يعني استحالة مراقبة جسم يتحرك اكبر من سرعة النور فالعين البشرية ، لايمكنها ان تلاحظ الجسم المتحرك بسرعة النور ، وهي لاتستطيع ادراكه ، وهذه الحقيقة الهامة هي التي كشفت عنها ابحاث النسبية .

هذه الحقيقة تجعلنا اكثر ادراكا لما جاء في الآيا تالمتقدمة التي ذكرت هذه السرعة الهائلة التي لاتمكن العين من ان ترى مابها من احداث ، ووقائع الهية ، فالملائكة ، والجن ، في القرآن في مثل قوله تعالى في ذكر قصة بلقيس في سورة النمل (ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك ، واني عليه لقوي امين ، قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده ، قال : هذا من فضل ربي) الخ . فهذه السرعة تفوق سرعة

النور فلذلك لاترى بالعين ، ولا بالاجهزة .

فلنحاول معرفة ذلك عن طريق العقل ، وليس عن طريق القياس والتجربة والاختبار ، فهنا نعرف عن طريقة حتمية بان معرفة الانسان عن طريق الحواس محدودة ، ومقيدة بسرعة النور وكل جسم يتحرك بسرعة النور او اكثر ، فهو بالنسبة للبشر عدم ، فقصور البشر عن ادراك ما هو اسرع من النور نظرا لتركيبهم ، وطبيعة حواسهم ليس دليلا على عدم وجود مثل تلكم الكائنات ، ولا عدم وجود تلكم المخلوقات ، والعوالم .

فنسبية المكان والزمان ، قادت الى نسبية المعرفة البشرية ، وما كان يبدو للعلماء حقائق ، مادية مطلقة مسلما بها ، اصبح اليوم حقائق نسبية تختلف من مكان لآخر باختلاف نسبية السرعة بين المكان ، ونسبية اوضاع المراتب لتلك الحقائق .

فالزمان والمكان ، لاحقيقة لهما في رأي (انشتاين) (ومينتوسكي) او على الاقل لا حقيقة لكل منهما على حدة ، وينتج من ذلك ، ان الوجود في الزمان والمكان بالمعنى الذي يفهم فلاسفة القرن الماضي لاحقيقة له ، والكون الخارجي الحقيقي الذي تقول به النسبة هو كون (زمكاني) يختلف مظهره باختلاف حركة المشاهد (الراصد) وهذا الكون على حقيقته ذو ابعاد اربعة ، والفضاء ذو الابعاد الثلاثة الذي تسبح فيه الاجرام الفلكية ، والذي نتصور انه مكان الحقيقة الخارجية ، هو وهم من الاوهام .

النظرية النسبية والفلسفة الاولى

فالزمان والمكان كل منهما فقد حقيقته واحلت النسبية حقيقة اخرى محلهما وهي حقيقة المتصل الزماني المكاني المؤلف منهما جميعا .

والذي خيل الي ، ان ابداع انشتاين ، بالنظرية النسبية ، هو مما تجلى له من وراء خبرته العامة في ظواهر الكون والقوة الكامنة المتحركة في بواطن الاشياء يعضد ذلك زكاؤه المفرط وسعة اطلاعه على نظريات من كان قبله من الفلاسفة ، ولا بد انه اطلع على نظريات الفلاسفة الالهيين ، فاستجلى من كل ذلك نظريته النسبية ، لانه واضح عندي وعندك ، وعند كل ذي عند ان (الآن) او (هنا) موقف ركب الماضي ، وكون الحاضر ومبدا المستقبل وانا وانت وغيرنا ازلا وابدا حاضرون بين الماضي ، والمستقبل ، وكل واحد ماضيه كان مستقبله ، ومستقبله سيكون ماضيه ومستقبل غيره ، فالحاضر نقطة الارتكاز بين الماضي والمستقبل وهكذا المكان وهكذا الجهات الست فحيث كان الواحد فالمكان الى جانب مغرب الشمس فهو غرب بالنسبة له وشرق بالنسبة لمن كان غربيه وهكذا الجنوب والشمال، اذن

المكان والزمان نسبيان بالنسبة لكل مايحويه الزمان والمكان ولانه لاماضي ولا حاضر ، ولا مستقبل ، ولا مكان ، ولا زمان عند من لا تطلع عليهم شمس طبيعية ، ولا تدور بهم كرة طبيعية ، لابل هم نور الشمس وحركة الدورة فكذلك لا ماضي ، ولا حاضر ، ولا مستقبل هنا الا بالنسبة .

وكل عالم وكل فيلسوف وكل متفوق ، في كل شيء لا بد وان يكون سبقه من نظرات الفلاسفة ومعارف المكتشفين وتطلعات العلماء . ما نوهوا عنه ، واشاروا اليه وحاموا حوله ، وان لم يكونوا قدروا على استجلائه كاملا ، فيتمخض الزمان بهذه الاراء الى ان يكون من يكون اهلا لاظهارها باهرة عجيبة فيخلد بها وهي بالحقيقة وليدة ازمان واراء .

قد علمت انه سبق انشتاين كثير من العلماء للنظرية النسبية ولكنه جمعها ووسعها ، واضاف اليها وقد رايت هذه النظرية في كتب الإلهيين واضحة جلية فمثلا . قولهم : عن السماء بانها اسم لكل شيء له ارتفاع وتأثير فيما دونه ، فكل رتبة عليا في عالم الغيب، المسمى عالم النور او عالم الاطلاق او عالم التجرد ورتبه كثيرة كل رتبة منه سماء بالنسبة لما دونها ارض بالنسبة لما فوقها ، وهذه الارض بالنسبة لما دونها سماء وهكذا .

وقد سموا هذه الرتب النورية ظلالا ، لان كل رتبة منها ظل بالنسبة لما قبلها وهذا الظل اصل شاخص ذو ظل بالنسبة لما دونه

فالرتبة الاولى اصل شاخص ذو ظل بالنسبة لما دونه ، ومادونه ظل بالنسبة لهذا الشاخص ، وهذا الظل اصل شاخص بالنسبة لما دونه ، وظل بالنسبة لما فوقه . وهكذا الى اخر التكوين المجرد وهو قوله سبحانه : هم وظلالهم عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون .

وبالجملة كل شيء له جهتان ، او جهات . فهو بالنسبة الى جهة من الجهتين شيء وبالنسبة للجهة الاخرى شيء آخر مع انه هو هو ، فمثلا الانسان فهو بالنسبة لابيه ولد ، وبالنسبة لولده اب ، وبالنسبة لابن اخيه عم ، وبالنسبة لابن ابنه جد ، وهكذا حتى النبي المرسل فهو بالنسبة لنا رسول ونبي وبالنسبة لمرسله كلمة .

وكذلك الزمان واقسامه ، فالزمان على طوله مؤلف من اكوار وادوار واحقاب فمثلا الاحقاب تؤلف من سنين والسنون من شهور والشهور من ايام والايام من ساعات والساعات من دقائق والدقائق من ثوان .

فالثانية ليست ثانية الا بالنسبة لتقسيمنا الدقيقة ستين جزءا ، والدقيقة ليست دقيقة الا بالنسبة لتقسيمنا الساعة ستين جزءا واليوم ليس يوما الا بالنسبة لتقسيمنا اليوم الى اثنى عشر ساعة وهكذا .

وكذلك العوالم ، فانها ثلث عوالم ملك ، وملكوت ، وجبروت .

وهذه العوالم محلها واحد وهو الوجود الاصلي والفرعي وتختلف اسماؤه بالنسبه لاختلاف النظر اليه ويختلف النظر اليه بنسبة التفاوت بمعرفته . وهذه العوالم عند المحققين بالنسبة للعالم المركب قسمان، قسم كثيف دخل عالم التكوين وقسم لطيف لم يدخل عالم التكوين فالاول بالنسبه لعالم الشهادة يسمى عالم الغيب ، والثاني بالنسبة لعالم الغيب يسمى عالم الشهاده فمن نظر لهذا الوجود من جهته المحسوسه كان بالنسبة له ملكا . ومن نظر لاسراره المعنوية التي هي انوار الصفات الالهيه . كان بالنسبة له ملكوتا ، ومن نظر اليه من جهه الاسرار الازليه كان بالنسبة له جبروتا لان حجاب العزة والكبرياء هو الذي منع الابصار من رؤية النور الجبروتي ، ولا طاقه للعين على رؤيه الانوار الالهية ، الا بواسطة الاكوان الكثيفة، وقد نبه على الاربعه المعنويه وواضح ان تقسيم هذه الرتب هي بالنسبه للانسان ومعرفته فقط واختلفت بالنسبة له لا بالنسبة لها وقد تقدم في فصل (النور والمادة) انه لاشيء الا النور .

والزمان والمكان على راي افلاطون صورة متحركة للازل ، فكل مايمكن ان يقال عن الازل انه هو موجود فليس له بالنسبة اليه ماض . ولا حاضر ، ولا مستقبل ، انه ابدي ولا يمكن حصره ، ان الماضي والمستقبل لايأتلفان الا مع الكون الذي تتعاقبان عليه في الزمان وانهما محل الحركة .

اما المكان ، فانه ثابت كما هو موجود فلا شيء يغنيه ولا شيء يستنفده ، اما الزمان فعلى الضد من ذلك قد ابتدأ مع العالم ، عند

ما خلق الله العالم ، ووضع له نظاما عجيبا ، انما هو مشاهدة الليل، والنهار ، انما هو دوران الشهور والسنين ، التي كونت العدد ، وقدمت لنا مبدأ الزمان ، وصيرت دراسة العالم ممكنة ، فليس الزمان اذن الا جزءا من الازل نفصله عنه لموافقة استعمالنا له ، لكن في الازل نفسه ، ليس بعد من زمان ، لان الزمان ليس الا متحدا معه في حين ان الازل هو متحد بوجه ما مع الله .

وتتضح هذه النسبية (الزمكانية) بقول : (نيوتن) ايضا قال : ان الله ليس الازل كما انه ليس (اللانهاية) ولكنه أزلي ولا متناه ، فالزمان بالنسبة له غير موجود ، وليس الزمان موجود الا بالنسبة لنا ، لان الازل الهي ، ولكن الزمان انساني محص لانه لاينا سب الا ماله اول ، ويمكن ان يكون له آخر وليس للازل بداية ولا نهاية .

ويقول الفيض الكاشاني في كتابه (قرة العيون) ليس الزمان الا عدد حركة الفلك كما ان المكان ليس الا ماأحاط بالفلك أو ماملىء به الفلك ، فاذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان .

والخلاصة ان النظرية النسبية للعلامة انشتاين كادت ان تشرح الكون والتكوين ، ولكنني اجزم انه اقتبسها من كلام الالهيين كما تقدم غير ان له فضله بتبيين غامضها ، وتفصيل مجملها .

الايـــــام

[illegible] الانفلات من قيد روحانية القمر الموهومة الى اكتشاف [illegible] المجسمة التي للآل يكرهها المشايخ مع قوم بالفاظ بذيئة [illegible] مع أحرى بالفاظ نظيفة . قبل هذا الانفلات لم يكن [illegible] الا [illegible] هذه الدوران كوكبنا هذا حول شمسنا هذه [illegible] الايام الزمنية والايام الدهرية ولا الايام السرمدية ولكننا أبيح [illegible] بعض هذه الايام المذكورة في كتابه وعن سعتها وطولها وقصرها المطلق من وعن مقابلتها وكل هذا بفضل انطلاق العقل من قيد هذه الروحانية المزعومة التي ضرب اطنابها رجال الدين حول عقول الامة فروعهم بها الجهل علما والحقيقة وهما .

ان علة ايامنا هذه الزمان والمكان ، وعلة الزمان والمكان الفلك ، وليس الزمان الا حركة الفلك ؛ كما ان المكان ليس الا ما احاط به الفلك ، او ما ملىء به الفلك ؛ فاذا لم يكن فلك ، فلا زمان ولا مكان كما تقدم وايام الله سبحانه خارجة عن الزمان والمكان ، فايامنا هذه الزمانية ، التي نعيشها على ظهر كوكبنا صورة للزمن ، والزمن صورة للدهر والدهر صورة للسرمد .

وكما ان ايامنا هذه هي ظهور شمسنا هذه بدوران كوكبنا هذا حولها . كذلك ايام الله هي ظهور شمس الحقيقة التي هي الله الحق الاول . وظهور الكل علينا بهذا الزمان والمكان يعبر عنه باليوم . والليلة . والشهر والعام .

وايام الله وسعتها وطولها وعرضها المعنويين ، وعاء مفاعيله سبحانه في ملكوته وجبروته كما ان ايامنا هذه وعاء لمفاعيل الهية ، مادية . ومعنوية .

فيوم كوكبنا هذا احصاه العلماء بقدر ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وعامها بقدر ٣٥٦ و ٣٦٥ يوما . ويوم عطارد ٨٨ وكذلك عامه ، ومعنى هذا ان عطارد اعطى الشمس وجها واحدا لاترى غيره فهو للشمس كالقمر للارض . ويوم الزهرة مختلف فيه وتقدم الكلام عن يوم ارضنا . ويوم المريخ ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة ، ويقطع مداره فيما يقارب ان يكون سنتين ، والمشتري يومه تسع ساعات ، وخمسين دقيقة . فهو برغم عظمه النسبي سريع اللف حول نفسه وعامه قارب ان يكون اثني عشر عاما ، من اعوام الارض ، وزحل يومه عشر ساعات من ساعات الارض ، عامه قارب ان يكون ثلثين عاما من اعوام الارض انه ٤٥٦ و ٢٩ عاما واورانس يومه كيوم زحل تقريبا انه ١٠٤٥ر من الساعة وعامه اربعة وثلثين عاما ونبتون يومه ١٥ ساعة و ٤٨ دقيقة وعامه مائة وستة وخمسين عاما وبلوتو اطول الكواكب اعواما لان العام يطول كلما كبر المدار ، فاختلاف ايام هذه الكواكب واعوامها ، باختلاف احجامها ودورانها حول

الشمس ؛ حتى يوم كوكبنا يختلف بالنسبة لاتساع الدورة ، وضيقها وسرعتها فانه عند خط الاستواء ٢٤ يوما من ايامنا نحن هنا ؛ وهو قرب قطبيها نحو من ٣٤ يوما وهكذا .

ولكن ايام الله سبحانه المذكورة في كتابه الكريم ، لاتتقيد بالزمان . لانه سبحانه لايحيط به زمان فلذلك لايحاط فعله بالزمان فايام الله محيطة بالايام الزمانية ، وتتفاوت ايامه بتفاوت فعله فقد تعد بألف سنة ؛ قال سبحانه ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وبخمسين الف سنة قال سبحانه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهي المذكورة بقوله سبحانه : (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش والايام الستة هي عبارة عن عالم الارواح المجردة) والارض (هي عبارة عن عوالم الاشباح مادية او مجردة) لا بل الستة ايام هذه عبارة عن تكوين جميع المكونات معقولها ومحسوسها ثم استوى على العرش ، واستواؤه على العرش لايكون الا بعد اتمام تكوين العرش ، وتمام تكوين العرش هو تمام تكوين السموات والارض ، وهذا الاستواء هو نسبة تجليه للجليل والدقيق ، وهذه الايام والليالي مشخصات قوى النفس الكلية .

يقول الهنود ان الدنيا خلقت في يوم من ايام برهما (الاله) وهو مصدر هذا الوجود ، ويوم برهما هذا الذي خلقت فيه الدنيا ، قدروه بـ ٤٫٣٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ عاما وقسموا اليوم الى ١٤ ساعة ،

كل ساعة مقدارها ٣٠٨ر٨٤٨ر٠٠٠ عاما ، يضاف اليها ١ر٧٢٨ر٠٠٠ من الاعوام ، هي شفق هذا اليوم ومن بعد يبدا شفق الليل ، وعند الليل يدخل هذا الكون المحدود ، في لانهائية هذا الوجود ، وتسال الهندي البرهمي في اي ساعة نحن من هذا اليوم فيجيئك الجواب اننا في الساعة السابعة اي نحو ظهر اليوم فهذا الرقم عندهم عمر الارض بالسنين ، والعجيب في الامر ان هذا الرقم قارب ان يكون الرقم الذي خرج به العلماء على انه عمر الارض فعمر الارض عندهم مذبردت قشرتها ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، اي بليونان من السنين وقد جعل البراهمة للكون اربعة اعمار ، تساوي اثني عشر الف سنة الهية واربعة ملايين وثلثمائة وعشرين الف سنة شمسية . وبعض المتأخرين يضاعفها الف ضعف ويقولون جميعا انها دورة واحدة من دورات الوجود ، وهذه الدورة هي يوم يقظة ، يقابل ليل هجوع ينقص بين كل دورة فنيت ، وكل دورة آخذة في الابتداء .

والقانون الابدي يقلب هذه الادوار فيبدئها ثم يعود فيطلع النهار كرة اخرى وهكذا دواليك الى غير انتهاء لانه لا انتهاء للزمان .

قد تشك في صحة هذا التحديد لعمر الارض وانا معك ولكن حسبنا من هذا انه دلنا على ان الارض قديمة كما اتى عمن انزل القرآن بأبياتهم واذا شاورنا العقل ورجعنا الى تعريف العلم الحديث عمر البحار بواسطة الملح لراينا العجب فملوحة البحار ؛

[illegible] بعد عام . والشمس تخرج مائها عذبا ، وتجريه الرياح [illegible] بعض امطارا ثم يعود الى البحار مرة ثانية ، ثم قدروا [illegible] من ماء بكل ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ كيلو متر مربعا، وقدروا [illegible] من ملح يبلغ نحو من ٤٠ مليون طنا ، وقدر [illegible] ما يحمل مياه الامطار والسيول والانهار من ملح [illegible] من عام . فكل نحوا من ٤٠٠ مليون طنا ، وبالقسمة [illegible] يخرج ما في البحار من ملح مليون عاما ثم يكون اعتراض [illegible] على [illegible] واحد . ثم ينظرون الى الجبال [illegible] ويظرون الى البحر وينظرون الى [illegible] . فيعلمون انها كانت جبالا [illegible] سألونك عن الجبال فقل ينسفها [illegible] فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا وانه [illegible] احفاد الارض غمر فيها ، ماء البحر الكثير من الارض فقل [illegible] الملح للبحر من الملح فملوحة حقبتنا اشد وفي الحقب [illegible] . فيقفز عمر البحار الى ١٥٠٠ مليون عاما .

عرف العلماء ذلك وحققوه بما لانعلمه : من ذرات (اليورنيوم) والثوريوم . وكلاهما يوجد في الطبيعة ، في صخور الارض ، وقد حققوا بان ساعات الصخور ، ادق من ساعات الناس ، فمن ساعات الصخر احصوا كم من السنين مضى منذ ان تكون هذا الصخر احصوا الصخر كم فيه من توريتوم ، وثريوم ، واحصوا كم من السنين كفت ليتحول هذا القدر من توريتوم الى هذا القدر من

لمراتب الدنيا مضاعفة ، فكل يوم من ايام الآخرة ، بالنسبة ليوم من ايام الدنيا يضاعف سعته بعشر ، ومائة ، والف ، وعشرة آلاف ، الى خمسين الف هذا بالنسبة لايام الدهر ، اما ايام السرمد فلا تحد بشيء لعدم نهايتها وتحددها .

الاديـان ورجـال الاديـان

لم يعصب اكثر رجال الاديان لاديانهم هو تعصب ملي او غبي . فاني لم ار رجلا من سائر رجال الاديان قدر ان يساوي حجم معرفته بكتب الدين الاخر . وثبت تحقيق دينه لاسواه هذا ما اراه . ولا ارى ان احدا يراه . وجميع ماهنالك تاويلات ،واحتمالات ومجملات . والاخرى والاولى بهادى اصحاب الدين الواحد وتكفير بعضهم بعضا وكل هذا مما لمنه رجال كل دين لتابعيهم يصورون لهم حسنات الاديان الاخرى سيئات شنيعة ، واعجب ماعند الجميع هو ماعند علماء فرق الاسلام . من تفرقه فكيف يكون الاسلام مصدر الشقاق على نفسه ؛ وهو الداعي الى الايمان بجميع الرسالات التي سلفت . ولا ينكر منها الا ما نسخته الشرائع نفسها ، وربما كان هذا النسخ اختلاف مقتضيات الزمن ، وربما وجد لها تاويل جميل .

لم يمنع العقل الاسلامي من التدين بما جاء به موسى (ص) مثل مابالاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين عن (لوط) النبي وابنتيه ؛ وتعري نوح من ثيابه من جراء شربه الخمر ، ولعن ابنه

كعمل لانه اخبر اخويه بتعري ابيه ولم يمنعه حيلة يعقوب على ابيه
براي امه (رفقة) حتى اخذ بركة ابيه دون اخيه (عيسو) ، ولا
قصة داوود - واوريا الحثي ،وكيف ارسله امام الجنود ليقتل ، فياخذ
زوجته - وكان ذلك ، ولا ما في قصة هوشع ، بان الله قال له اذهب
خذ لنفسك امراة زنا واولاد زنا ففعل ، ثم بعد هذا الاصحاح او في
هذا الاصحاح ، يقول النبي ، وقال لي الرب اذهب ايضا احبب
امراة حبيبة صاحب وزانية .

كل هذا واشكاله لم يمنع المسلم من تقديس الكتاب المقدس ، ولكنه يعلم ان هذا وامثاله مدسوس بالكتاب المقدس ومعروف بداهة انه ليس كلام الهي ولا نبوي، لم يدعنا الاسلام الى ان ليس الا الاسلام بل عرفنا ان الاديان كلها حق وكلها طريق الى الله ، الا ان الاسلام هو وحده الدين الصالح ، باحكامه المادية والمعنوية للحياتين المادية والمعنوية وقد حقق له كثير من العلماء هذا .

فالقرآن يدين برسالات ابراهيم ، والنبيين من بعده،اسماعيل، واسحق ، ويعقوب ، والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما اوتي النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ، وعدد القرآن انبياء غير هؤلاء ، وذكر انه يوجد انبياء لم يقصصهم على محمد (ص) (منهم من قصصنا عليك ومنهم لم نقصص ، ان أمة الا خلا فيها نذير) .

وكان الرجل النادرة (مها تماغاندي) يتكلم بلغة تعليم الاسلام

عندما قال : (لا أريد ان يحجب عني داري الهواء من سائر نواحيه . بل أريد ان تهب علي رياح الثقافة من كل الجهات ، ولكنني لااريد ان تأتيني ثقافة من هذه الثقافات) الا ترى ان هذه الكلمة وامثالها من سائر كلام الحكماء من النفحات القدسية التي نفثها الاسلام على العالم بأخلاقه واحكامه ومن هذا القبيل تبرم الاستاذ (احمد زكي) من الكلمة المأثورة عن الامام علي ، أو الامام عمر (اللهم اعطني أيمانا كايمان العجايز) تبرم منها لانها كما فهمها ترمي الى الجمود وتقطع الطريق على من يريد التقدم ، ولكن قائلها سواء كان الامام علي ، أو الامام عمر ، لم يقصد منها الا ان يجعله الله مؤمنا بالله والاسلام ايمان العجايز ، لان العجوز عندما يبلغ العتي من العمر لايقدر على تغيير ما اعتقد ، وكيف يكون معنى هذه الجملة غير هذا وهما كلاهما من اركان دعوة داعية للتجدد أزلا وابدا ، قال (ص) : لاتخلقوا ولدكم باخلاقكم ، فانهم ولدوا لزمان غير زمانكم .

والمفروض برجل الدين ، ان يكون حرا بتصرفه وتفكيره ، وان ينزه يده ولسانه وجيبه وضميره عن كل مايشينها ، ينزه يده ان يمدها لما ليس له لايمدها للتقبيل او للاستجداء فان كلاهما لايحل له ، وينزه لسانه ، ان يكون مراحا للرثاء والتزلف وينزه ضميره من تبعات الحقد والبغضاء هكذا يجب ان يكون رجل الدين ، لانه الواسطة بين الله والامة أليس من واجب هذه الواسطة ان تكون شريفة النية والمقصد ، لتكون مقبولة عند من تتوسط لديه بلى التزمنا الناحية التي توهمنا انها تظهرنا دائما شكلا ملائكيا في اعين

جهه . فتضفي عليها مسوح الاكبار والاعجاب ، وتخولها الحق في إحرار اموال الامه في الطرق المستقبحة ، وسلب كرامتها باستعبادها وإخضاعها مسرورة لانها تعرف انها تؤدي واجبا إليها .

لقد عمدت على الفئة التي سميناها (عواما) ، معرفة اي شيء من الحقائق . حتى صورنا لهم . ان تحت كل شيء من الاشياء ملكا روحانيا . او شيطانا رجيما . وانهما تحت تصرف كل واحد منا يسعد بهما من نشاء ويشقى بهما من نشاء .

ومن جراء ذلك اسقطت فئة (العوام) حتى عن الكبريت هل يجوز استعمال النار به وعن الاستصباح ، هل تجوز الاستضائة به في المساجد وعن الملعون هل يجوز استعماله في المعاهد الدينية ، وعن الجغرافيا وعلوم الطبيعة هل يجوز تعليمها للتلاميذ ، وقد كنا نحرم عليهم تعلم اللغة العربية وحتى القرائة في اي كتاب ، ان لم يكن مخطوطا واعرف قرية من قرانا (حسب) لها منجم بأنه كل ولد يتعلم بها القرائة يموت . فلم يتجاسر بها أب ان يعلم ابنه فن القراءة حتى جائها بعض الشيوخ فتزكى من عدة رجال بهـا تعليم اولادهم . فزكوه بأن يعلموا أولادهم فن القراءة مضحـين بأولادهم . خوفا من ان يردوا طلب الشيخ فيقعون تحت عقاب امر من التضحية بالولد .

لم نزل بهذه الفئة ، فئة العوام ، حتى أوهمناهم انهم يعيشون من هذا العالم في سجن مغلق ، وان كل واحد منهم يعيش بـين

قبيلة من قبائل الجن ، الذين لايرى منهم الا آثار افعالهم حتى اعتقد كل واحد منهم انه ان مد اصبعه الى شيء ما ، لابد من ان ينطلق منه ، شيطان متربص ، او مارد محبوس .

اما الآن فقد انتبهت العقول المغفلة ، واستمد العوام من دينهم الاسلامي دين الفطرة ، التي فطر الله الناس عليها استمدوا منه بيقظتهم ، طرق التقدم في كل شيء وعلموا ان طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة وعلموا ان المسلم اولى من غيره بكل علم لان الاسلام ، علم الدنيا والآخرة ، علم الحق والخلق .

ويكفينا ما احتقبناه من اوزار هؤلاء المتخلفين الذين اخرناهم ولم نتقدم فعلى التحقيق انهم لولانا (المشايخ) لواكبوا ركب التقدم وسايروا موكب الحضارة والعلم ، ولكننا عملنا وعملنا لنبقيهم كما هم فنبقى نحن اشياخهم المتصرفون بهم كما نحن .

ليس في أصل الاسلام الجمود على عادة موروثة ، ولا رفض شيء جديد لانه جديد اننا لم ندرس الدين الاسلامي دراسة وافية ومن منا درس منه شيئا ، فانما اقتصر على جهة من جهتيه المادية المحسوسة او المعنوية المجردة ، فمن تعرف على جهته المعنوية ادبر بكليته عن جهته المادية الا القليل من اعلام علماء الاسلام ، ولا تتم معرفة الاسلام معرفة صحيحة ، الا بمعرفة الجهتين المعنوية والمادية والعمل بهما حسب المستطاع .

ولا اغالي اذا قلت اننا اهملنا كلا هذين الجهتين ، الا ماانتخلناه

درسناه وعرفنا كيف نتلاعب به ليلتف منه حول كل واحد منا فئة تقدسه وتمجده ولا تزال الهوة عميقة واسعة بين السواد من الناس وبين احرار العلماء ولكن العلم مهما حورب ، ونكل بأهله ، لابد من ان ينتصر ، فسقراط مات مسموما وافلاطون بيع بسوق العبيد وارسطو فر من اثينا وانتحر وفيثا غوراس مات قتيلا وسجن الرئيس ابن سينا وهكذا ولكن سقراط لم يمت وافلاطون حرر العبيد وارسطو نحر الجهل وفيثا غوراس عاش مؤبدا وابن سينا سجن الخرافات ، وقد تقدم شيء من هذا ، انني أرى ان شر الناس في الاسلام، من يحرم على خلق الله ؛ أن يتفكروا في خلق الله ومن يحرم الاجتهاد على العلماء العادلين فيما دون النص، فيكون قضى على الانسانية بالحرمان من نعمة العقل والعلم والانسانية نفسها ليست شيئا الا نعمة العقل والعلم .

الا يجب ان نؤمن بما جاء من الآيات القطعية الدلالة التي لاتتعارض مع قطعيات العلم فان العلم المشكوك بصحته اذا تعارض مع المشكوك بصحته من الدين ، يجب ان نسوق الدين مع العلم بالسنة الكريمة ، او ان نبقى مع بلاهتنا متدينين ، بدون ان نعكر على العلماء علمهم وجليل مباحثهم ، عدا عما نرميهم به من ضروب التفكير وانواع الالحاد ونعلم الناس بغضهم واحتقارهم ، احتقارا للعلم ، والاخلاق فنجر بذلك علينا من العلم واهله كوارث الاستصغار والاحتقار وما احسن ما قال فوليتر (رجل الدين الغبي يثير احتقارنا، ورجل الدين الشرير الرديء يولد الجزع فينا اما الناضج المتسامح ،

البعيد عن الخرافات ، فهو الجدير بحبنا واحترامنا) .

ان ركب العلم ماض ، وموكب الحضارة سائر يكتسح ، لايقف امامهما شيء يمهد ان العقاب ، ويذللان الصعاب اذا استسلمنا لهما طائعين ، والا استسلمنا مكرهين ، الكشف المذهل تلو الكشف ، والنظرية بأثر النظرية ، ولا مناص من مواكبتهما والا نابذنا العلم وكذبنا الحقائق ، فقذفتنا الحضارة من حالق وسحقنا العلم بأرجل الجهل بنكراننا عظمة الله .

فهل يكون لنا عذر ان عملنا عمل رجال الدين في كل زمن من الازمان فالمعروف عنهم انه ان لم تتهيأ لهم سلطة تمكنهم من اضطهاد العقل والعلم ، التجؤا الى الغيبة ، ولاذوا بالنميمة ، وتدرعوا بالشتائم وتحصنوا بالاقذاع كما نحن فيه الآن ولكنهم اذا تمكنوا من سلطة قوية تمكنهم من اضطهاد العلم والعقل ، انقضوا عليهما يجندلون ، ويفترسون .

ولعلك علمت عن (محكمة التفتيش) وجمعية (الاكليروس) كيف طاردتا أحرار الفكر ، واعملتا فيهم التحريق والتقتيل والشنق.

انشأ البابا (جريجوري) التاسع محكمة التفتيش ، أو ديوان التحقيق عام ١٢٢٣ م وكانت هذه المحكمة اداة عاملة لقوى الجهل ، ومبدأ هذه المحكمة (لان يدان مائة بريء زورا وبهتانا ، ويعانون العذاب الوانا خير من ان يفلت من العقاب مذنب واحد ، ومن ساهم

في تقديم الوقود الذي يحرق به الملحد استحق المغفرة .

واصدر مجلس الفاتيكان في عام ١٨٧٠ قرارا بأن البابامعصوم من الخطـأ .

ولكن وواحسرتا على العبـاد مهما سخطنا ونكلنا وكفرنـا فالفكرة الصحيحة حية لاتموت لان الذي يموت هو الذي شمله الزمان والمكان وما لايتقيد بزمان ولا مكان لايقوى عليه الفنـاء ، لان حركته دهرية وحركتنا العلمية هذه (واحسرتا على العباد) مكانية صرفة لانها وليدة الجهل .

وراي ان الكلمة الاخيرة التي وجهها سقراط لحكام أثينـا الذين حكموه بأن يشرب السم فيموت هي الكلمة التي يقولها كـل حكيم لقومه الظالمين له ، فان لم يكن قالها لفظا فقد قالها فعلا .

قال سقراط لو انكم اقترحتم اخلاء سبيلي بشرط ان اتخلى عن بحث الحقيقة لقلت لكم اني اشكركم ايها الاثينيون ولكن اوثر ان استجيب لطاعة الله ، الذي اعتقد انه هيأني لاداء هذه الرسالة ، على ان انصاع لرأيكم وما دام بين جنبي نفس يتردد ، وقوة اشعر بدبيبها في كياني ، فلن اتوقف عما انا به .

المعجـــــزة

المعجزة فعـل خارق العـادة يعجز البشر ان يأتوا بمثله ، وتعـود الى ثلاثة اقسـام . قلب المهيات وعلم المغيبات وتحدي الطبيعة بالقدرة والاحاطة بما فيه .

وقد ذهب فريق كبير من المفكرين الى ان الايام الالهية وانها محل لافعال الله ، وسرعة مرورها ناشئة عن سرعة العمل حتى تكون وفق المشيئة الحور السماوية والمصادمة لخوارق العادات بمفاعيل المادة ، كما اكتشف العلم الحديث من بلوغ السرعة المحسوسة مايربو على عشرات الملايين من الاميال في الثانية الواحدة وان يحصر في المكان الذي تشغل مساحته عن جزء من مليون من القيراط تعيش فيه الاجسام والخلايا الحية ، وتنمو فيه جمهرة الخلائق ، وربوات الافلاك والاجرام التي يكن هذا واشباهه مستحيلا من قبل واصبح اليوم القول بان هذا الحدث يحدث في جزء من الف جزء من الثانية ، وينتشر على آفاق من الفضاء تحسب بالوف الالوف من الاميال في الجهات الاربع ؛ وهـذا ما قاله سبحانه : (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم) قال الكاتب

الكبير ، (عباس محمود العقاد) الم يكن هذا مستحيلا في راي المحدودين من عباد العادات ؛ ومنكري الخوارق فيما تعودوه ، وبعضهم معدودون من الفلاسفة واحسن منهم نظرا وأسلم تقديرا جاهل يؤمن بالمعجزة . ويؤمن معها بخفايا الخلق ، واسرار الحياة ، وجنز الاحتمال لكثير من الغرائب والطوارق والممتنعات في نظره ومن المستحيل ان يصاب العقل بآفة اضر من الجمود على صورة واحدة تمنع عندها كل ماعداها فالاشياء عنده اما كما تعود ان يراها . او انها مستحيلة . واصح نظرا من هذا العقل الجامد ، عقل يحمل وجود الاشياء على صور شتى لايحصرها مألوف ،فليس من المستحيل عقلا ان يتم في ثانية ما تعودنا ان نراه لا يتم الا في سنة مثلا . وان يتم في قيد شعره ما كنا نظن انه لايتم الا في الآفاق الفساح ولا يستحيل عقلا ان ينعكس ، فلا يتم الا في الزمن الطويل ، والامد الفسيح ما تعودنا ان نراه في الزمن القصير ، والامد الصغير ، اذن لا استحالة في خوارق العادات ويعجز من زعم استحالتها عن اثبات مدعاه من جهة العقل والدليل .

ومن يجرؤ ان يقول باسم العلم بأن الالهام مستحيل لانه يجب عليه حينئذ ان يجزم بأمور كثيرة لايستطيع عالم امين ان يقررها معتمدا على حجة ، او سند قويم ، ويجب عليه ان يؤكد معرفته لحقيقة الزمن ؛ وعرف حقيقة المستقبل وعليه مع ذلك ان يقرر تجريد الكون من عنصر العقل ، غير عقل الانسان والحيوان ، فما هي حقيقة الزمن؛ هل هوموجود فيالماضي والحاضر والمستقبل،

ام يوجد لحظة واحدة . ثم يزول ، وما هي هذه اللحظة ، وما مدى احاطتها ، بالبعيد والقريب من الامكنة الشاسعة في هذه الاكوان ، وهل المستقبل موجود الآن او هو علم يوجد لحظة بعد لحظة وكيف يوجد بعد ان لم يكن له وجود .

ان الذي يجزم في شيء من هذه الاقوال باسم العلم يدعى على العلم كذبا ، وعقله ضيق لايصلح للنظر ، واذا كنا لاننفي وجود المستقبل نفيا مقطوعا به مستندا الى حجة ، او بينة فالغيب غير مستحيل ، والعلم به مؤكد ، لايدخل في الممنوعات او غير المعقولات، واذا كان عنصر العقل في هذه الاكوان اكبر من ان يحصره رأس الانسان وحده فانتقال المعرفة منه الى عقل الانسان جائز جدا ، وجائز على الاقل ، كجواز الانتقال بين الافكار على تباعد الامكنة والعقول واذا كان العقل لاينفي بالدليل المقنع ، وجود العقل الابدي، فليس له ان يجزم باستحالة شيء مما يستطيعه ذلك العقل الابدي من العلم بالابد كله ولا ان يجزم باستحالة قدرته على الايحاء به الى زمن بعيد او زمن قريب .

ان عقيدة الاسلام في الغيب وجملة المغيبات انها شيء يعلمه الله لاغيره ، ولكن لاتناقض العقل ولا تلغيه فربما انكشف له الغطاء عنها لكنها فوق عقل الانسان لانه محدود بالنسبة لها وعالم الغيب مطلق غير محدود ومن رفض الايمان بغير المحدود فانه يرفض الايمان بما لايجوز الايمان الا به ، اذ لا ايمان على الهدى بمعبود ناقص دون مرتبة الكمال الذي لاتحصره حدود .

ويقول العقاد راينا ورأى غيرنا من كثير من الآدميين من يأتي بخوارق العادات من قوة خارقة واعمال بأعضاء عليلة ، لاتتسنى بالاعضاء الصحيحة لمثلها ؛ ورأينا اللاعبين ، يأتون بالاعيبهم مايكاد ينكره العقل لولا تحقيقه اياه مما لو عددناه لطال ، فهذه الملكات الجسدية المحدودة . واماد الكمال التى تبلغها بالتخصص والمرانة فان صح ان بعضنا تجاوز بالقوى الجسدية بعد المرانة والتخصص حدودها المعهودة فما ظنك بالقوى الروحية ومما لامراء به ولا جدال ان طالب القوى الروحية كطالب القوى البدنية له حق كحق المصارع والملاكم وحامل الاثقال في استكمال مابنشاء من ملكات الانسان .

وكذلك تحتاج القوى الروحية الى رياضة عملية من قراءات واذكار . وصلوات ، واوراد حتى يستحق صاحبها ان يكون عبدا من عبيد الله ومتى كان خرقت دونه الحجب فلا يزال يرتقي رتبة بعد رتبة حتى يصل الى انوار الحقيقة متحققا بعظمة الربوبية في الباطن ، ومتحققا بأوصاف العبودية في الظاهر فحينئذ لايرى لنفسه تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حولا فانيا عن نفسه ، باقيا بالله فهؤلاء لهم من التصرف بالمادة بقدر ماتجلى عليهم من آثار قوة الله ولهم من الفعل الخارق الروحاني مالاهل الرياضات البدنية من الفعل الخارق البدني ولا يدفع هذا الا عن جهل او تعنت .

لان كل صور الحقائق موجودة بالعقل الفعال بالقوة والفعل ، والنفس المرتاضة بالاعمال الالهية صفحة صقيلة تنعكس عنها انواره وتجلى عليها اسراره ؛ فاذا واجهته عند استشراقها ادركت المعلومات

في اقصر زمان وايسر مدة وشاهدت الانوار كلها المجردة وغـــير المجردة مشاهدة حقيقية لان جميع الصور مرتسمة بالعقل الفعال وهو مواجه لها من كل جهة فيحصل للنفس الاكتساب من جهته على انه ما ينبغي واكمله ولذلك كانت معرفة الامور واكتسابها من جهة النفس بالعلم والمعرفة .

ومتى اتحدت النفوس بالعقول صار لها العلم وكملت وواجهت العقل الفعال من كل جهة فادركت المعلومات وجميع المطالب المرتسمة فيه من الجهة المواجهة لها كما ترتسم صور المحسوسات في النظر ، اذا كان الهواء مضيئا نيرا بحصول بعض الاضواء وذلك كمواجهة المرآة للمرئيات فالنفس كالمرآة وعملها وتعقلها كصقال المرآة ، واظن هذا هو الذي اراده ابو العلاء بقوله :

لقد عجبوا لاهل البيت لما ... اتاهم علمهم في جلد جفر
ومرآة المنجم وهي صفري ... تريه كل عامرة وقفر .

والذي اكتشفه العلماء من سرعة العالم الالهي الهائلة التي تتجاوز سرعة النور بمقدار ١٨٥٠ مرة حيث ان النور الالهي يسيطر ويهيمن . ويؤثر على كل ما في الكون من اصغر الذرات الى اضخم المجرات .

ولما كان لكل موجود طبيعي محسوس جهة ملكية طبيعية وجهة ملكوتية معقولة كانت الاشياء الطبيعية وان كانت صامتة غير

شاعرة حتى بالشعور التركيبي بملكها ، كانت ناطقة بملكوتها ، مسبحة بالتسبيح الفطري وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم والتسبيح الفطري هو هرب الاشياء الامكانية من نقائصها وطلبها لكمالاتها لكن لايسمع تسبيحها ، ولا يسمع اصواتها شيء من الاسماع الحيوانية ، بل تسمعها الاسماع الملكوتية .

وللقلب المكنى به عن النفس بقوله سبحانه : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد) لهذا القلب كوتان ، او قل اذنان كوة الى العالم العلوي بها تسمع من الملائكة وكوة الى العالم السفلي تسمع بها من الشيطان وتصغي اليه وكذلك بواقي الحواس البصر والشم والذوق والسمع واللمس ، لكل منها شأن من شؤون النفس ، وله كوتان كوة اخروية وكوة دينوية .

وايضا لكل مافي الموجودات نطق هو غير نطق اللسان الصوتي وغير نطق الحال المعبر عنه بقول أبي العلاء :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

ولكن هذا النطق الذي ينطقه الحي والموات هو فيض سر الله الساري في الوجود وبهذا النطق كان تسبيح الحصا بيد رسول الله (ص) وبه كان حنين الاستن الحنانة اليه وبه كان تجاوب الجبال

والطيور لداوود ولا يسمع هذا النطق الا الانسان الكامل الجامع الحق ، والخلق .

وهل ماظهر في باطن المادة بعد تفجير الذرة من (مضاد المادة) ومعرفتها خارجة عن حدود التصور البشري وتركيبها عكس تركيب غيرها لان ذرات المادة تتركب من نواة مركزية موجبة ، تدور حولها الكترونات سالبة ، بينما ذرات (مضاد المادة) تتألف من نواة سالبة تدور حولها الكترونات موجبة وما ظهر من الفوتونات الضوئية النورية بعد فناء مضاد المادة هل هذا الا صورة واضحة عن نطق الوجود المذكور في الكتاب الكريم يسبح الرعد بحمده ، وان من شيء الا يسبح بحمده واذا كان لنا لغة نتخاطب بها فلا بد من لغة وجودية مجردة يتخاطب بها اهل الوجود المجرد ، وبها تسبيحهم الفطري .

فاتضح من هذا ان المعجزة كغيرها قسمان مادية ومعنوية فالمعجزة المادية وهي التي مفعولها مادي كما ورد من قلب المهيات ، واحياء الاموات ، وما اشبه والمعجزة المعنوية هي نطق الوجود وما كان من عجيب التكوين وبديع الصنع الذي هو الكتاب التكويني ، وهذه المعجزة للعلماء الكبار ، وتلك لبسطاء العالم .

والذي يضم المعجزتين هو كتاب الله التكويني ، الذي يفهم منه حتى الجاهل فهما عميقا للمعجزة القائمة حواليه حيثما جال بعينيه ، (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء ، فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ، وهكذا في كثير من آي الكتاب الكريم وقراءة هذا الكتاب هو التفكير في هذا التكوين العجيب الصنع الذي يحار فيه كل متفكر ويدفعه الى الاعتقاد بوجود اله عظيم حكيم .

فكل مانراه ونكرر رؤيته ، فهو معجزة تدعو الى العجب ولكنها المعجزة التي تعين العقل على فهمها ، والاعتقاد بها لا المعجزة التي تبطل عمل العقول .

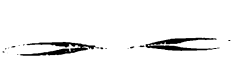

اجمال مافصل بهـذا الكتـاب

ان الحجة على تنافي العلم مع الدين ، بتكوين عيسى من نفخة الهية ، وتكلمه في المهد ، وعروجه الى السماء ، ومعاجزه الخوارق لنظم الطبيعة ، حجة غبية ، اثبت العلماء الالهيون كيفية ولادتـه ، معتزين بتصديقهـا ، متبجحين بالركون اليها ، فهي بنظرهم كـل العلم والتدين .

تلاقى القرآن الكريم ، والحديث الشريف مع كل فن من فنون العلم المادي ، لا بل حض على تعلمه ، بقوله : ان في خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الابصار ، وبقوله : ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من مـاء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابـة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ، وبقوله : أم لهم ملك السموات والارض فليرتقوا في الاسباب ، وقد صدقت ماقرأته في بعض المجلات بأن بعض من كانوا قبلنا حاولوا الصعود الى الكواكب لان العلم لم يقتصر على زمان ولا مكان ، ولعل القرآن

الاشياء المادية مركبات من ذرات ، وتحليل هذه الذرات يحيلهـا الى عناصر ، ثم يحيل العناصر الى عالم الفرد الدري ، الذي لايلمس ولا يرى ، ومنه الى نواة الذرة الموجبة ، وكهاربها السالبة ، التي يقوم بطاقة سرعتها كل كائن مادي ، واذا اطلق على هذه النـواة شحنة كهربائية موجبة قوية صارت شعـاعا ونورا ، وهنا تتـم الدائرة ، ابتدا الكون بالنور ، واختتم بالاشعاع والطاقة وليس هما غير النور وحقق العلم الحديث وجود قوة خفية سماها (مضاد المـادة) ولا تحمل من صفات المـادة شيئا واذا تواجهت المـادة استحالتا الى (فوتونات ضوئية) مثل اصطدام الكترون سالب مع (بوزيترون) موجب ، فانه ينتج من تصادمهما (فوتون ضوئي) فمن هذا علمنا ان الكون كله قوة خفية ، والقوة لاتتنافى مع النور المجرد العامل في المكونات المادية .

وحقق العلم الحديث ، ان الاثير مادة ، والمادة اثير ، والمـادة الفيزيائية جزء من الاثير يهتز في دائرة معينة ويمكن اعتبار اثـير الفضاء حلقة اتصال بين عالم الروح والمادة . لان المادة المشتركـة بين العالمين والعالمين جزء من كون واحد ، وبهذا تحقق ايضا ان الكون كله قوة خفية ، والقوة الخفية ليست غير النور المجرد .

وجه سؤال لكل من علماء اميركا والسؤال هو (هل تعتقد وجود الله) فجاء الجواب من واحد وثلاثين عالما ، وكل منهم دكتوراه بفن مـن الفنون ، يسرد بجوابه شيئا من تخصيصه العلمي ، قاطعا بوجود منظم حكيم قادر ومنهم مخترع (العقل الالكتروني) وجاء بجواب

بعضهم ما معناه (ان بعضهم يشك في امكان خلق الحياة ، وبعضهم يعده مستحيلا ، ولكن اذا اثمرت هذه الجهود لا تزعزع الا من ايمان ضعيفي الايمان ، ونحن نعده خطوة جديدة في ادراك ما أبدع الخالق .

المصادفة

ونظرية المصادفة اخضعها العالم السويسري (تشارلزيو جين جاي) حتى كانت من الاسس الرياضية واثبت ان الفرصة لاتتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء (بروتيني) الا بنسبة ١ الى ١٠ مضروبا بنفسه ١٦٠ مرة وهو رقم لايكمن النطق به وينبغي مع ذلك ان يكون الكون اكبر منه الآن بملايين المرات .

وحسب العالم الانكليزي (ج.ب.ليثز) ان الطرق التي يمكن ان تتالف بها الذرات بالمصادفة في احد الجزيئات البسيطة من (البروتينات) يبلغ من الملايين (10^{48}) والبروتينات مواد كيميائية عديمة الحياة حتى يحل فيها سر الله العجيب .

حدوث الاشياء

كل ذي آخر فهو ذو اول ، وكل ذي اول وآخر فهو محدث ، وكل محدث لابد له من قديم اوجده وكل الاشياء مفتقر بعضها الى بعض لتتعاون ، وبتعاونها قوامها ، وكل محتاج محدث ، وان

كان ثمة شيء محدث ثبت وجود قديم ، وان كان ما نراه هو المحدث فأين القديم وان كان مانراه قديما ، فكيف كانت تكون صفته لو كان محدثا .

الحركـــة

ثبت من قديم ان الحركة هي التي يقوم بها كل من الكونين المادي والمعنوي ، وانه (لاتتحرك ذرة الا بها) وليس ما اثبته العلم الحديث من مفعول الحركة الا ماقاله العلم الالهي القديم الا ان العلم الحديث تعمق بمعرفة الحركة مستقصيا ، والجملة التي اثرت عن العلم القديم (لاتتحرك ذرة بالكون الا بها) أي بالحركة الاولى . تشير الى جميع ما تكلم عنه العلم الحديث ، وتحقق ان العلم آنذاك كان عالما بالذرة وتركيبها الفيزيائي ، وان كان لم يعن بتفصيلها ، كل شيء متحرك حتى الحجر مثلا فانه مجموع ذرات ، والذرة به في حركة دائبة ، ولا ترى لسرعتها وصغرها ، واذا بلغت الحركة ٩٠ ٪ من سرعة النور يتقلص المتحرك به الى نصفه ، واذا بلغت الحركـة سرعة الضوء ٣٠٠ر٠٠٠ كم في الثانية فني هذا المتحرك كله ولعل هذا حكم السرعة المادية ، على الاشياء المادية فقط ، لان القرآن أخبرنا عن قصة النبي سليمان والملكة بلقيس قال سليمان لخاصته: (أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين . قـال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك

آثارها ؛ فالله سبحانه المحرك ، والحركة هي الجوهر الاول الكائن منه والمتحركات بهذه الحركة بقايا المكونات (ولا تتحرك ذرة بالكون الا بها) .

الدثور والتجدد

وعلة دثور الاشياء وتجددها ، واستمرارها هذه الحركة، فاذا قدر الله سبحانه احداث أمر من تجدد ودثور واستمرار كائن من الدثور والتجدد . وقت له وقتا يظهر فيه ذلك الامر في حين وجوب اظهاره ؛ يتفصل احداث تلك الامور بالدثور ، والتجدد ، والاستمرار ؛ بالاشياء واوقات الاشياء اللواتي لاتتناهى تفصيلا غير متناه ؛ فبهذه الحركةدثور الاشياء وتجددها واستمرارها بينالدثور والتجدد .

فاذا هبت الريح ؛ فعلى السراج ان ينطفىء ، وعلى النار أن تشتعل ؛ وبهذه الحركة يبدىء الله الاشياء ويعيدها ، وبها تكون الاشياء ذوات شؤون مختلفة ، ولا يشغله سبحانه شأن من هذه الشؤون المختلفة عن شأن آخر .

القرآن

القرآن هو كتاب الله التدويني ، والمكونات كتابه التكويني ؛ فما يرى من كل محسوس هو حروف الكتاب التكويني وكلماته ،

وما لايرى من العالم المجرد معـاني هذا الكتاب ، وكـلا الكتـابين التكويني والتدويني واحد بالمعاني واذا اختلفت الفاظهما ، فالالفاظ دلالة المعاني فقط ، والعلماء من هذين الكتابين على مراتب علومهم فالالهيون وجدوا بالكتاب التدويني الدلالة القاطعة على اثبـات وجود الله ، ثم عرفوا نعوت الله واسمائه وصفاته ، ثم عرفوا تنزيهه، وعرفوا تجليه . مثل تجليه بالنار ، والنور ، وعلى الجبل وما اشبه ومختلف العلماء كل منهم استجلى به اختصاصه العلمي ، كالفيزياء ، وازدواجيـة المادة ، والتسجيل الكهرطيسي ، والنقـل البعيد ، والتلفزة والانفجـارات النووية ، والكيميـاء ، وطبقات الارض ، والمناخيات ، والضغط الجوي ، وهكذا من جميع ما اكتشف العلـم الحديث ، وخصوصا الذرة ، عرف عنها القرآنانها ذات وزن بقوله : مايعزب عن علم ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السمـاء . ولا اصغر من ذلك ولا اكبر) ونتأكد هذا مما ورد عن جابر بن حيان الازدي ، تلميذ الامـام جعفر بأن الحرارة والرطوبـة ، والبرودة واليبوسة ، تجريدات لاتلمس ، ولكنها ذوات أوزان ، لان الذي لايوزن هو اللاشيء ونتأكد ان القرآن جمع مانقوله من مثل ماقال : (دريبر) الاستاذ بجامعة (نيويورك) في كتابه (النزاع بين العلـم والدين) قال : ان المسلمين تأكدوا وجوب مشاهدة الحوادث عندما يأملون وجدان الحقيقة ، فالاسلوب التجريبي ، والدستور العملي شعارهم في بحوثهم ،فلقد كان يدرس عندهم مذهب النشوء والارتقاء ، للكائنات العضوية الى أبعد مما وصلنا اليه ، وطبقوه على الجوامد والمعادن ، وكنا نظن ان هذا انتاج العلم الحديث ، واستخدموا علم

ولا نشك انه تعليم من اخذوا عن القرآن والحديث كما تقدم عن ابن حيان ، ونحن نعلم ونثق بما نعلم ان هذا وغيره من معطيات القرآن اذن فلسنا مع العلم الجديد بشيء جديد ، بل باكتشاف جديد . وعندي ان العالم الذي يكتشف من القرآن ، كالعالم الذي يكشف عن اسرار الطبيعة ــ كلاهما . عالم ــ وكلاهما له شأنه ــ ولكل منهما عندي كل الاكبار والاعظام ــ لان كليهما يكشف عما في كتاب الله ، اكتشف العلماء في القرآن غزو الفضاء ، والنظرية النسبية وغيرهما ، وقال عنه كثير من علماء الغرب ، انه دستور اجتماعي ، مدني ، تجاري ، قضائي ، قانون سماوي ، وان العلوم الطبيعية ، والفلك ، والفلسفة ، مقتبسة من القرآن .

ويقول الدكتور (جرنيه) انه رأى آيات القرآن مرتبطةبالعلوم الطبيعية ، والصحية ، والطبية ، فوجدها تنطبق على المعارف الحديثة ، فأسلم لانه رأى أن محمدا اتى بالصريح من قبل الف سنة .

الايام

وأيام الكواكب وسرعتها ، وبطؤها ، وطولها ، وقصرها ، واختلافها ، الذي اخبر عنه العلم الحديث ، علتها الزمان ، والمكان ،

بدوران كواكبها حول الشمس ، وحول انفسها وعلة الزمان والمكان الفلك ؛ وليس الزمان الا حركة الفلك ، وليس المكان الا ما احاط به الفلك . او ماملىء به الفلك ، فاذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان، وايامنا هذه العرضية . على كوكبنا وفي سائر الكواكب صورة للزمن ؛ والزمن صورة الدهر ــ والدهر صورة السرمد ، وبهذا تعرف احاطة ايام الله سبحانه بأيامنا . وتتفاوت تلك الايام بتفاوت من تطلع عليهم شمس تلك الايام ، فهي وعاء لافعالهم ، ولهذا يقدر اليوم بألف سنة ، وبخمسين الف سنة ــ هذا بالنسبة لايام الدهر.

واما ايام السرمد فلا كلام عنها لانها لاتقدر بأمد ، ولها حقائق متمايزة في مراتب الملكوت والجبروت ، فهي لايام الدهر بمثابة روح لجسد.

حدد العلماء عمر الارض بواسطة ما في الابحار من ملح حملته الامطار في سيولها من اليابسة للبحر ، ثم حددوا عمرها ايضا ، بما خزن الصخر من (النورينوم) (والثريوم) وكم مضى لتحويلهما الى مقدار من الرصاص ، وعرفوا بهذا ايضا عمر الارض بعد ان بردت قشرتها ، ولكن على عمق هذا التدقيق وعلى وفرة اكباري واعظامي لهؤلاء العلماء لاأزال اشك في هذا التحديد ، لانهم حددوا عمر الارض بغير هذا التحديد ورجعوا عنه ، ولانه ورد ان عمر الارض اضعاف هذا ، وللعقل قيمته .

المعجـــزة

بالغ قوم بنكران المعجزة ، كما بالغ آخرون بقبولها ولو عن

محدود الزمان ، ولا معروف المكان ، ولا محصور القبيل ، فرفض الايمان به رفض الايمان بالحقائق .

يتجاوز الانسان بالمرانة والتخصص ، والالعاب الرياضية المتنوعة لتجاوز قواته حدود قوة الاجسام المعهودة فما المانع ان تنال القوى الروحية اذا تعدبت بالاذكار والصلوات والاوراد ، وصدق النية ، والاقبال على الله بكل هذا ونظيره ، فما المانع ان تكون القوى الروحية من الاعمال المعنوية الخوارق مالكل المصارع ، والقلاع ، وغيرهما وما المانع من طيران الروح الى ما وراء المادة ، على طائرة معنوية مركبة من مواد الهية ، كعلم وتقوى ، وايمان ، وما المانع كما طار البدن على طائرة مادية ، من ان تكون من مواد مناسبة ما المانع من ذلك .

وبعد هذا يجب ان نكون اصح ان المعجزة قسمان ، مادي ومعنوي ، فالمعجزة المادية التي معمولها مادي ، كقلب العصا ، واحياء الاموات ، وما اشبه وهذه المعجزة دون المعجزة المعنوية ، والمعجزة المعنوية التي معمولها معنوي ، وهو ما يسمونه بعلم الوهبة وما كان من مجلب التكوين ، وهو كتاب الله التكويني ، وهي المعجزة التي تعين العقل على فهمها وتحمله على الاعتراف بها ، وليست هي المعجزة التي تبطل عمل العقل ، والتي حسب طالبي مقصدها وسعي الاكثر من العالم لكرار رؤيتها الادبية .

الفهرس

صفحة

المقدمة بقلم الاستاذ عز الدين الخير ٣
كتاب ابي بقلم الاستاذ محمد أحمد حيدر ١٧

المقالة الاولى

العلم والدين ٢٣

المقالة الثانية

الشمس والقمر ٣٩
الاختلاف بعبادة الكواكب ٤٠
مفاعيل الشمس ٤١
الصابئة وابراهيم الخليل ٤٢
عبادة الاصنام ٤٢
العرب وعبادة الكواكب ٤٤
هياكل الشمس والقمر ٤٥
تعدد الشموس والاقمار ٤٦

صفحة

الاكوان المسكونة لايحصيها عدد ٤٨
اشعة الكواكب ٥١

المقالة الثالثة

النور والمادة ٥٥
لاشيء الا بالنور ٥٦
نواة الكون الجوهرية ٥٧
مضاد المادة فناء مادة ٦٠
تلاقي العلم الحديث والقديم بتعريف اصل المادة ٦٢
العلم والنور والوجود ٦٧
الانسان خليفة الله ٦٨
الانسان وجد الله بنفس ادباره عنه ٦٩
الفكر والمادة ٧٢
الحجج على الدهرية ٧٤
ابطال نظرية المصادفة ٧٥

المقالة الرابعة

السكون والحركة

فناء المادة بسرعة الحركة ٨١
بقاء الاشياء بالحركة المجردة ٨٢
كل حركة كيانها بالحركة الاولى ٨٣

لاتتحرك ذرة الا بالحركة الاولى ٨٣

المقالــة الخامسة

الدثور والتجــدد

توقيت زمن الفعل من دثور وتجدد وهو قوله سبحانه كل يوم هو في شـــأن ٩١

المقــالة السادسة

تباين العلمــاء باعظــام القرآن ٩٤
الجوهر الكائن عن الله لا فاعل ولا مفعول ٩٥
الحــروف والكلمات ٩٦
بعض كلام علمــاء الغرب عن القرآن ٩٨
القرآن والعلــوم الحديثــة ٩٩
الــذرة والقــرآن ١٠١
الامام زين العابدين بوزن الاشياء اللطيفة كالحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والنور والهواء والظلمة ١٠٢
(دريبر) وعلماء العرب الاقدمين ١٠٣
القرآن وغزو الفضـــاء ١٠٤
النظرية النسبية والقرآن ١٠٧
الزمــان والمكــان ١١٠

المقالــة التاسعة

المعجـــــزة

ليس الالهام مستحيلا
لاشيء اضر من الجمود
ازدياد القوى الروحية بالرياضة الالهية كما تزداد القوى
البدنية بالرياضة البدنيــة ١٣٨
اتحاد العقول والنفوس ١٣٩
نطق الوجود ١٤٠
مضاد المادة ونطق الوجود ١٤١
اجمال مافصل الكتاب ١٤٣